المشرق

السنة الحادية والثلاثون — كانون الاول ١٩٣٣

الدرة النفيسة

في صلوات الكنيسة البيزنطية

تاريخ ترنيمتين من ترانيم الطقس البيزنطي

بقلم الشماس انطون هبي

اولاً: ترنيمة الشكر المسائية المعروفة بأيها النور البهي ἡ ἐπιλύχνιος εὐχαριστία

أمر ثمين من ترانيم الاجيال المسيحية الاولى ترنيمة الشكر المسائية التي تقال في الغروب. كان مؤمنو الكنيسة القديمة يرتّلون في اجتماعاتهم الدينية عدداً غير محدود من المزامير المقدسة، ثم يرتجلون، لاسيما في بعض الاعياد الرسمية او التقدمات (*Vigiles*) الجزيلة الاهمية صلوات سمّوها: «مزامير خاصة» «*psalmi idiotici*»[1] وقد بالغ اريوس وآله في استعمال هذه الترانيم الخاصة الشعبيّة لبثّ اضاليلهم، فنفت

(1 *cf*. P. Rebours, *La Musique grecque*. p. 130 et 132

الكنيسة من معابدها عوائد الارتجال في الصلاة ، وحذفت كثيراً من المزامير الجميلة المرتجلة التي كانت احياناً غاية في رونق المعاني والالفاظ كما يتضح لنا ذلك من ترنيمة الشكر المسائية التي نحن الآن بصددها وهي من عداد «المزامير الخاصة» القليلة التي لم يقع عليها الحكم المبرم، فوافقت عليها الكنيسة ، واثبتتها في ليتورجياتها وطقوسها.

ومما يجدر بنا ذكره ان هذه الترنيمة الانيقة قد نبتت بارض افسدتها المرطقات المضادة للثالوث كهرطقة اريوس الذي انكر الوهية السيد المسيح ، وهرطقة مكدونيوس بطريرك القسطنطينية الذي انكر الوهية الروح القدس وادّعى ان الاقنوم الثالث من الثالوث الاقدس ما هو سوى خادم الآب والابن، الى غير ذلك من الهرطقات المضلة . فكانت ترنيمة الشكر المسائية ترنيمة الثالوث الاقدس الخاصة تجمع في صلاة الغروب الشعب المؤمن حول عقيدة الايمان المهددة ، حول حقيقة الوهية الثالوث . كانت قانون ايمان المؤمن ونشيد الشهداء الظافرين في حلبة العذاب والاستشهاد.

اما مؤلف هذه الترنيمة فمجهول بعد ، وغيوم كثيفة حائلة دونه ودوننا . فان القديس باسيليوس في مؤلفه عن الروح القدس περὶ τοῦ ἁγίου πνεύματος قد نوّه بهذه الترنيمة الانيقة وصرّح بجهله مؤلفها ، ثم تابع كلامه مقدماً شواهد انتقاها من التقليد تبرهن عن الوهية الروح القدس . فذكر ترنيمة خلّفها القديس اتينوجينوس لتلاميذه. فقال : « من عرف ترنيمة اتينوجينوس ، النشيد الذي خلّفه كورث لتلاميذه حين كان متجهاً الى ميدان الاستشهاد ، فهذا يعرف بذات الحال ايمان الشهداء بالروح القدس.» وقد استنتج البعض من هذا النص ان مؤلف ترنيمة الشكر المسائية هو نفس القديس اتينوجينوس . على ان نص القديس باسيليوس لا يقبل قط نتيجة كهذه ، لا بل ان رأياً كهذا هو نتيجة قراءة سريعة وسوء فهم في نص العالم القديس[1].

الاورولوجيات (السواعيات) السلافية والاورولوجيات العربية القديمة تنسب

(1 *cf. Dict. d'archéologie* ... col. 3106 : *Athénogène.* — et Cardinal Pitra, *Hymnographie grecque.* p. 122.

هذه الترنيمة الى القديس سوفرونيوس بطريرك اورشليم المتوفى سنة ٦٣٨ . بيد ان هذا الرأي ليس له اصل ثابت اذ نجد في الرق الاسكندري *codex alexandrinus*) المنتمي الى الجيل الخامس ترنيمة الشكر المسائية ، في حين ان القديس سوفرونيوس لم يكن ولد بعد . لا بل ان القديس باسيليوس الذي عاش في الجيل الرابع ينعت هذه الترنيمة بالقدم : ἀρχαίαν τὴν φωνήν . ولذا حذف المرسلون البولسيون الكرام في طبعتهم الجديدة لكتاب الاورولوجيون تلك العبارة التي تنسب للقديس سوفرونيوس ترنيمة الشكر المسائية الجميلة .

واليوم ظلام ادكن يكتنف مؤلف الترنيمة التي ننشدها . فربما يوماً ما ينبعث النور من رقّ من الرقوق المنطرحة في زوايا المكاتب الكبرى فيبدّد هذه الظلمات ، ونكتسب به علماً ومنفعة .

على اننا ان كنا نجهل مؤلف ترنيمة الشكر المسائية فلا نجهل ما لهذه الترنيمة من بديع المعاني وعظيم الشأن في طقس صلاة الغروب الخشوعية . فهي اليوم من ترانيم الغروب الاساسية «هي محور تدور حوله كافة صلوات الغروب . »[1] فالكهنة والمرتلون يرنمونها بافخر الالحان الكنسية وامجدها باللحن الثاني البزنطي . هي ملخص ايماننا بالالوهية . فاينما حلّ الزائر ودخل كنيسة من كنائس الطقس الملكي ساعة الغروب يسمع اصوات الكهنة والمرتلين تنشد ترنيمة الشكر المسائية بنغمة قد تلذّذت وترنمت بها الاجيال الطوال المتعدّدة . على ضفة النيل ، على ذرى جبال صهيون، على آكام لبنان ، في وهاد بردى والعاصي ، يسمع نفس الكلام وذات النغمة تصعد ذاهبة في الفضاء معربة عن وحدة الايمان بالوهية الثالوث الاقدس .

ثانياً : ترنيمة « بواجب الاستهال . . . » ... Ἄξιόν ἐστιν

ان كانت ترنيمة الشكر المسائية حائزة على منزلة رفيعة ومقام سام بمعانيها اللاهوتية الخطيرة واستعمالها في الليتورجية الالهية البزنطية . فان ترنيمة البتول

(1 — R. P. Couturier, *Liturgie grecque melchite*. T. II, les Vêpres
cf. L'Union des Eglises, 1925. p. 470

« بواجب الاستهال » ان تكون اقل اهمية معنى واستعمالًا في الطقوس ، وهي آخذة بافئدة الشعب المؤمن مأخذها ، ولا عجب في ذلك اذ انها تخصّ والدة الاله التي عشقها شرقنا المحبوب.

تتألف هذه الترنيمة الانيقة من قسمين : القسم الاول: « بواجب الاستهال حقًّا نغبط والدة الاله الدائمة الطوبى البريئة من العيوب امّ الهنا ». والقسم الثاني: « يا من هي اكرم من الشاروبيم وارفع مجدًا بغير قياس من الساروفيم التي بغير فساد ولدت كلمة الله حقًّا انك والدة الاله ايّاكِ نعظم » .

وقد آثرنا ان نشرح اولًا الجزء الثاني لما في تاريخه من الوضوح . فهو طروبارية مأخوذة عن ديوان للقديس كوزماس[1] تستعمله الكنيسة البيزنطية في ليتورجيتها نهار الجمعة من اسبوع الآلام . وقد اخذت هذه الطروبارية في الطقوس دورًا مهماً ، فيرنمها المرتلون تارة منفردة كما في الاودية التاسعة ، وطورًا مع القسم الاول «بواجب الاستهال» كما في القدّاس والمديح والبركليسي والتطوافات . وقال عنها العالم اليوناني جورج باباذوبولس في مؤلفه عن الترانيم الكنسيّة ، ان القديس كوزماس قد حذا في تأليفها حذو القديس افرام السرياني في نشيده :

«Τιμιωτέρα τῶν χερουβὶμ καὶ ἀσυγκρίτως πασῶν τῶν οὐρανίων στρατιῶν»

« يا من هي اكرم من الشاروبيم وارفع سموًّا من جميع الطغمات السماوية »

ومهما يكن من امر تأليفها فانها تلبث اليوم من طروباريات الطقس البيزنطي الاساسية .

---

١) ولد القديس كوزماس في دمشق . وكان اخا القديس العلّامة يوحنا الدمشقي بالبنوّة . درسا معًا العلوم الراهنة على كبار المعلمين وترهب القديس كوزماس كأخيه اللذان ثم اقيم اسقفًا على مدينة مَيُوما (Mayuma) او جمينا الواقعة جنوبي يافا (ويضعها فريق مكان غزّة) التي اشتهرت بجاليتها الاسرائيلية وربّانيها الملافنة ، وقد حفظ التلمود كثيرًا من اقوالهم وتعاليمهم .

فكان لجمينا منذ اوائل الجيل الرابع كنيسة واسقف ، والقديس كوزماس حلقة من سلسلة مطارنة هذه المدينة الآهلة قديمًا بالسكان . وكان من كبار الشعراء والمرتلين في عصره (القرن الثامن) وهو مؤلف القوانين المثلثة الاودية (Τριῴδια) التي تقال في السبّة العظيمة .

اما الجزء الاول « بواجب الاستهال . . . ام الهنا » فقد نسجت الرواية حول تاريخه معطفاً من القصص والحوادث الخيالية ، وامتزج مع تعاقب الايام الغث بالسمين ، فاصبحت معرفة الحقيقة التاريخية ضرباً من المحال . وان رواية[1] شائعة بين رهبان جبل آثوس المقدس[2] تنسب ترنيمة « بواجب الاستهال » . . . الى الملاك جبرائيل . واليك ايها المطالع اللبيب هذه الرواية بكاملها .

في اواخر القرن العاشر لمّا كان « جبل آثوس المقدس » في اوج الرقيّ والازدهار ، وقد شيّدت على آكامه وفي وهاده الاديرة العامرة والمعابد الفخمة ، كان في وادٍ من الوديان كسته الطبيعة ثوب الجمال والبهاء كوخ صغير ، تحت حماية العذراء سيدة النياح ، يبعد عن دير كاريس (Karyés) والبندوكراتور (Pandocrator) مسافة ضئيلة ، يقطنه راهب جليل قد كلّل الشيب هامته وتلميذ له في زهرة العمر والشباب قد درّبه على ممارسة اسمى الفضائل الرهبانية . فدعا الراهب الشيخ يوماً تلميذه وقال له : « يا بنيّ ، اليوم يوم سبت وتقام في كنيسة البروتات (رئيس اديرة الجبل) صلاة الغروب والاغرينيّة . فانا ذاهب الى الصلاة . اما انت فابقَ هنا الى مجيئي وصلّ على قدر استطاعتك صلاة الفرض المقدّس . » ثم بارك الشيخ تلميذه وسار في سبيله . فاقتربت ساعة الغروب وعقب اضطرابَ واضطرامَ النهار السكونُ والسلام . وارخى الظلام سدله الدكنا على الطبيعة باسرها . فقام الراهب التلميذ يناجي تحت اجنحة الظلام باريء الطبيعة والخليقة . وفيما هو يصلي سمع باب الكوخ يقرع . فاوقد سراجه وفتح لزائره الباب . فظهر له شيخ جليل يتجلى البشر والجمال على طلعته مرتدٍ ثوب الرهبان القشف . فامسكه بيده وادخله واجلسه على حصيرة النسّاك وقدّم له من الطعام ما عنده . ثم اضافه تلك الليلة في كوخه . ولما حان وقت صلاة الصبح المعروفة بالاورثروسي (ὄρθρος) ، نهض الناسك

---

1) cf. *Echos d'Orient* 1898-1899, p. 227

2) جبل آثوس رأس (*promontoire*) من شبه جزيرة كلسيديك اليونانية ، طوله ٥٠ كيلومتراً وعرضه ٦ كيلومترات . ابتدأت فيه الحياة الرهبانية في القرن العاشر . وهو اليوم جمهورية رهبانية بدير شؤونها عشرون راهباً مقيمون بدير كاريس .

الشاب وضيفه لتلاوتها فصليا قسماً وافرًا منها وافضيا الى ترنيمة «يا من هي أكرم من الشاروبيم ...» فرتلها الناسك كعادته. اما الضيف الجليل فلم يتابع الصلاة بل راجع الترنيمة نفسها مضيفاً اليها في الابتداء هذه العبارة: «بواجب الاستئهال حقاً نغبط والدة الاله الدائمة الطوبى البريئة من العيوب ام الهنا.» فذهل الناسك لهذه الصلاة الجديدة وقال لضيفه بملء العجب والاستغراب: «اننا لا نرتم بجيلنا المقدّس سوى «يا من هي أكرم من الشاروبيم» ولم نسمع قط ترنيمة «بواجب الاستئهال» واجدادنا لم يعرفوها ايضاً» ومع ذلك ارجو منك ايها الاخ الوقور ان تكتب لي هذه الترنيمة البديعة كي يتسنى لي ان ارنمها انا ايضاً.

— «اليَّ اذًا بقرطاس ومحبرة»، اجاب الشيخ الغريب.

— «ليس عندنا ههنا من القرطاس والحبر شيء..»

— «ائتني بلوح...»

فقدّم له الراهب اليافع لوحاً، واخذ الشيخ يرسم باصبعه على اللوح تلك الصلاة العجيبة التي رنمها. ثم قدّمها للناسك الشاب. وقال له: «هكذا يترتب عليك وعلى سائر الارثوذكسيين ان ترنموا هذه الصلاة.» وتوارى عن الانظار. فتعجب الناسك مما حدث وذهل لرؤيته الترنيمة المرسومة على اللوح محفورة عليه كانها على شمع. فتحقق لساعته ان السماء قد جادت على الارض بانشودة جديدة لتمجيد والدة الاله.

ولما رجع الراهب الشيخ من الاغربنية قصّ عليه تلميذه ما حدث له وأراه اللوح ورنّم له الترنيمة الملائكية. فسرّ الشيخ غاية السرور وحمل اللوح الى البروتت والى سائر الآباء، وقصّ عليهم الحادث العجيب. فحمد الجميع البتول الطاهرة التي لا تزال تظهر عطفها نحو الارضيين. وبعثوا باللوح الى القسطنطينية حيث استلمه البطريرك والملك بغاية الجذل والاحترام، واوعز البطريرك المسكوني الى سائر الكنائس البيزنطية ان تدخل هذه الترنيمة الانيقة في عداد ترانيمها وصلواتها. فدعي الكوخ «كوخ بواجب الاستئهال» وسمي الوادي وادي الترتيل «Τὸ ἄξιον» تذكارًا للنشيد الملائكي الذي

رنمه فيه الملاك لاول مرة·

هذا ما تحدثنا به الرواية الآثوسية عن اصل ترنيمة « بواجب الاستهال » الخشوعية . وزعم الراهب مبارك من رهبان جبل آثوس المقدس المتوفى في اوائل القرن المنصرم ان هذه الحوادث التي تسردها الرواية قد جرت سنة ٩٨٠ على عهد باسيليوس وقسطنطين پورفيروجينية Porphyrogénète والبطريرك نيقولاوس كريزوڤرجيس Chrysovergès. وبرهاناً على ادعائه هذا قدم نصوصاً انتقاها من سنكسارات ومناوات القرن العاشر والحادي عشر التي تعيّن في الحادي عشر من حزيران عيد العذراء في وادي الترتيل ἐν τῷ ᾄδειν · على ان ادلته ليس لها معنى كبير وقوة مقنعة . ومما لا مرية فيه ان وادي الترتيل قد اطلق عليه هذا الاسم حتى اواخر القرن الرابع عشر . وقد ذكر سمعان التسالونيكي في كثير من مؤلفاته هذه الصلاة العجيبة التي لم تزل حتى اليوم من ترانيم الطقس البيزنطي الاكثر استعمالاً وشهرة وكثيراً ما تقال مع « يا من هي اكرم من الشاروبيم . . . » حتى انه يخال المرء ان هاتين الترنيمتين هما ترنيمة واحدة ونشيد واحد . وقد جعلها الموسيقيون الكنسيون موضوع حبهم وتأليفهم ، فعلقوا عليها الالحان الجميلة المتنوعة : حتى انه قلما يوجد نشيد كنسي وفرت الحانه وتعددت نغماته مثل النشيد المزدوج الذي نحن الآن بصدده ، نشيد مريم البتول الخاص . نفعنا الله بشفاعاتها وزادنا حباً وتعلقاً بها وبابنها الحبيب·

القضاء في لبنان

بزمن الامراء الشهابيين

بقلم عيسى اسكندر المعلوف ، مؤلف تاريخ
الاسر الشرقية وعضو المجامع العلمية العربية
في دمشق وبيروت ومصر

٥

الشيخ احمد البزري المسلم السني

لما قتل الشيخ شرف الدين (شروف) القاضي كما سبقت الاشارة في الرقم (٤) من هذه المقالة، اسند منصب القضاء الى الشيخ احمد البزري من برجا (اقليم الخروب في لبنان) وهو من اسرة البزري الحسينية في صيدا التي انتقل بعضها الى برجا ولا تزال بقيتها فيها .

فكتب اليه الامير بشير الكبير « الاخ العزيز » رفعاً لمقامه واذاع ، في البلاد قتل شروف وتنصيب البزري عوضه في القضاء . وكان البزري فقيهاً بارعاً درس عليه كثير من فقهاء لبنان وادبائه ، ومنهم بطرس كرامه الحمصي مدبر الامير بشير وشاعره ، وغيره. وله احكام وفتاوى وقفت على كثير منها تدل على مقدرته ونزاهته .

وتوفي البزري هذا سنة ١٢٣٤ هـ (١٨١٩ م) فرثاه تلميذه بطرس كرامه بقصيدة قال فيها (ديوان كرامه ص ٢٣٨) :

لا رزء اعظم من رزء رميت به ... منه فصبرني ولهان ارتمض
سهم اقام لـه قلبي الشجي هدفاً ... وليس يعلم مـا يلقى به الغرضُ
فقدان من كان ذا علم وذا حكم ... تجلى به نائبات الدهر والعرضُ
العالم العامل البزريّ احمد من ... لم يبقَ من بعده بالعيش لي غرض
ابي التقى والحجى من لا براوده ... عن قوله الحقّ لا مالٌ ولا عرض

من كان للعلم بحرًا فاض نائله للطالبين ، فنعم الفوز والعرضُ
من كان جوهر فضل والثنا عرضاً ولن يقوم بغير الجوهر العرضُ
الالمعي الذي ارث براعته ومن فصاحته سحبان يقترضُ

الى ان قال يذكر تتلمذهُ له وحزنه عليه :

ابكيت عيني ، كما اودعت في اذني درًّا ثميناً لديه الدرّ برنخص (١
قلّدتني مننًا ليس النظام يفي بشكرها هل يفي بالجوهر الفضُ

ثم ارّخ ضريحه بقوله :

لحد ثوى فيه بدر العلم وأسنا عليه من بعده ركن العلوم وهى
مفتي الانام هو البزريّ احمد من قد كان شمس هدًى فيا وعى ونهى
زها بفضل تقى في ذي الدنى وقضى كذاك ارختُ في ظل النعيم زها

٦

الشيخ محمد القاضي الدرزي

هو ابن الشيخ شرّوف الآنف ذكرهُ ، صار قاضياً بعد وفاة الشيخ احمد البزري الذي لم يطل بقاؤه في منصبه ، وذلك سنة ١٢٣٥ ﻫ (١٨١٩م)[٢] وبقي يخدم القضاء حتى حرب ابرهيم باشا المصري ، فتغيّر عليه الامير لتحزبه ضده.

وسنة ١٢٤٧ ﻫ (١٨٣١ م) امر الامير بشير الكبير بهدم دور بيت ابي نكد مشايخ الدروز في دير القمر ، ودار الشيخ محمد القاضي ، فهدمت للارض . وثاني سنة فرّ من لبنان الشيخان حمود وناصيف النكديان مع الباشوات والجنبلاطيين الى خارج لبنان . اما الشيخ محمد القاضي فسار الى ترسيس ومنها الى جزيرة قبرص . وبعد سنة ، اي سنة ١٨٣٣ ، رجع الشيخ محمد الى بتدين وترامى على الامير بشير واعتذر له عن فراره فأمنه الامير

١) اخذ معناه من قول الزمخشري في استاذه ابي مضر النحوي الاصبهاني :
وقائلة ما هذه الدرر التي تساقطها عيناك سمطين سمطين
فقلت هو الدرّ الذي قد حشا به ابو مضر اذني تساقط من عيني

٢) راجع تاريخ الامير حيدر الشهابي الشملاني (طبعة مصر) ص ٩٤٦

واسكنه مزرعة دميث . وكان على خاتمه هذا البيت من قصيدة البردي :

فان لي ذمة منه بتسميتي «محمدًا» وهو اوفى الخلق بالذمم

ثم قضى في قائمية مقام الدروز بالشويفات.

وسنة ١٨٤٠ م كان في دير القمر من بيت القاضي ثلاثة اخوة هم المشايخ محمد ، وقاسم ، وعبد اللطيف . وكثرت علاقاتهم مع مرسلي الاميركان فتحوا لاولادهم المدارس ؛ وهم اولاد الشيخ شروف ، واكبرهم هو المذكور هنا.

٧

الشيخ احمد الخطيب السني

هو من اسرة الخطيب في شحيم (شوف لبنان) اصلها اندلسية حسينية هجرت عند حرب الاندلس الى المغرب ، ثم الى مصر ، ومنذ قرنين جاء الى ساحل بيروت ثلاثة اخوة احدهم استقر في مزبود ، والثاني في شحيم وهو الشيخ احمد ، والثالث في جهات اللاذقية وغيرها. ويقال لها «آل الفقيه» ايضاً نسبة الى جدها الاكبر الشيخ احمد الفقيه ، باني الجامع الاكبر في شحيم ومنهم الشيخ احمد هذا الذي ولي القضاء بعد الشيخ محمد القاضي الدرزي نحو ستة اشهر فقط ، وذلك سنة ١٢٤٧ ﻫ (١٨٣١ م)

٨

الشيخ يونس البزري السني

وقضى بعد الشيخ احمد الخطيب المارّ ذكرهُ في رقم (٧) الشيخ يونس هذا نسيب الشيخ احمد المذكور في رقم (٥) . ورأيت بعض فتاويه الدالة على مهارته منها فتوى بتاريخ سنة ١٢٤٨ ﻫ (١٨٣٢ م) [١] . ودرس عليه الشيخ بشاره الخوري الفقيه اللبناني من اسرة آل الخوري صالح في رشميا وغيره.

١) هذه الفتوى ليعقوب البيطار من الاسرة المعروفة في غوسطا (كسروان - لبنان)

واخبرني صديقي الفقيه المرحوم جرجس بك صفا انه كان يدرس الفقه على العلامة الشيخ يوسف الاسير ، ومعه رفيق هو الشيخ محمد البزري من صيدا من هذه الاسرة.

٩

الشيخ احمد تقي الدين الدرزي

هو من اسرة كريمة عرف ابناؤها بالعلم والفضل نشأ منها الشيخ احمد هذا، وكنيته ابو صالح ، درس في دمشق على الشيخ عبد الله الميداني وغيره ، وانتدبه الامير بشير للقضاء سنة ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) بتحريض بعض وجوه الدروز اخصّهم الشيخ حسين حماده ، شيخ العقل اذ ذاك ، فظلّ بتنصبه الى سنة ١٨٤٠ م عندما ترك الامير بشير لبنان الى مالطة فالاستانة.

ولا يزال امر الامير بشير الكبير الى الشيخ احمد بتنصيبه قاضياً بيد حفيده الشيخ احمد ، وهذا نصّه :

حضرة الاخ العزيز احمد ابو تقي الدين المكرم حفظه الله تعالى

اولاً مزيد الاشواق لمشاهدتكم بكل خير. انه بحسب تأكيدنا صدق خدمتكم وحسن معرفتكم وتقواكم وبذل جهدكم بما يرضي الله ويرضي خاطرنا قد انعمنا عليكم ونصّبناكم قاضياً بين الناس تحكموا بينهم بفصل الخصام على ما يطابق الشريعة الغراء المصطفاوية على منهج مذهب الامام ابي حنيفة النعمان عليه الرحمة والرضوان فالمراد حالاً تتوجهوا الى دير القمر تستقيموا بالمحكمة تتعاطوا الاحكام الشرعية على منهج الاستقامة حسب ظننا بتقواكم ولا تقطعوا اخباركم عنا.

محب مخلص
بشير
شهـا
ب

(والختم على قفا الورقة مقابل التوقيع علامة الرضى)

وكان الشيخ احمد هذا ظريف المعشر ، لطيف البادرة ، حسن المحاضرة ، رقيق الاخلاق.

وخدم قائمية مقام الدروز[١] بعد ذلك الى ان توفي سنة ١٢٧٤هـ (١٨٥٧ م) فأرخ ضريحه العلّامة الشيخ ناصيف اليازجي بقوله (ديوانه الثالث ص ١٢٠) :

هذا مقام السيد العلم الـذي	ورث الكمال عن الامير السيد
نسل التقيّ الدين عمـدة قومه	قاضي البلاد الصالح المتعبّد
قـد كان للقصاد في ايامـه	ركناً وللورّاد اعذب مورد
ولقد ثوى يوماً برحمـة ربّـه	في قبـة لاحت لنـا كالمشهد
صلّى مؤرخها وبارك قائلاً	حيّاك يا من زار قبة احمـد

الختام

هذه كلمة مختصرة في القضاة بزمن الامراء الشهابيين حتى اواخر النصف الاول من القرن التاسع عشر للميلاد من المسلمين والدروز.

وسنعود ، ان شاء الله ، الى ذكر القضاة من النصارى في ذلك العهد ولاسيما في لبنان الشمالي ، مشيرين الى شؤونهم وانواع الدعاوى التي كانوا يقضون فيها. والله اعلم ، وهو ولي التوفيق.

١) وعند آل تقي الدين اوامر من الامير امين ارسلان ، قائم مقام الدروز ، بتعيين الشيخ احمد هذا عضوًا في مجلس الشورى ، ومفتياً ، ثم بتعيينه مفتياً فقط بتاريخ ١٢٦٢ هـ (١٨٤٥ م) ورسالة من محمد كامل باشا ، مشير ايالة صيدا ، تدلّ على رضاه من الشيخ بتاريخ تلك السنة ، ومضبطة من قائمية مقام الدروز بتعيين الشيخ سليمان تقي الدين عوض شقيقه الشيخ محمود المتوفى كاتب المجلس ، وذلك سنة ١٢٦٦ هـ (١٨٤٩ م)

ارتفاع الصليب

ميمر منسوب الى القديس كيرلس اسقف اورشليم
٣١٣-٣٨٧م

نشره لاول مرة، وعلّق عليه
الخوري بولس قرألي، مدير المجلة البطريركية

٤

البحث الثاني

الاعتراضات (تابع)

٩ — نشأتها واسسها التاريخية

١ — نشأتها

فانت ترى ان الاسطورة الثالثة تضم الاسطورتين السابقتين وتلحمها بقولها ان عود الصليب الذي استخلصته القديسة بطرسية من ايدي اليهود، عاد هؤلاء فطمروه لما تعروا في عهد طرايانوس وظل مطموراً حتى جاءت القديسة هيلانة فاخرجته من الردم وبنت له كنيسة عظيمة. وقد تضمنت هذه الاساطير من المبالغات والاختلاقات والاغلاط ما حدا العلماء الى الاعتراض عليها وتفكيكها قطعة قطعة. فتركوها آلة لا نظام لها ولا حراك ولا قيمة، وعدّوها ملفّقة، مع تسليمهم بانها قديمة في نشأتها ونسخها، ومستندة الى بعض حقائق تاريخية.

واليك خلاصة آرائهم فيها، نأخذه عن مقالات الاب لكلير المذكور:

في اواسط القرن الرابع نشأت في كنيسة الرها اسطورة القديسة بطرسية. تجدها في كتاب تعليم أداي الحاوي للاساطير الحائمة حول نشأة هذه الكنيسة. وهي موضوع المخطوطة الباريسية رقم ٢٣٤، المنسوخة على الارجح في أواخر

القرن الخامس .

وبعد مضي زهاء ثلاثين سنة ، اي في العشرين سنة الاخيرة من القرن الرابع ، حلّت القديسة هيلانة الملكة محل القديسة بطرسية الملكة . فجاءت مثلها الى اورشليم ، واستعلمت مثلها من اليهود عن الصليب ، ووجدت مثلها ثلاثة صلبان، وعرفت مثلها الصليب الحقيقي من اقامته الميت ، وبنت له مثلها كنيسة كبيرة .

اما قصة يهوذا ، الذي دلّها على مكان الصليب وتنصّر ثم سيم اسقفاً على اورشليم باسم قرياقوس ، فقد نشأت في مخيلة مسيحي فلسطين ، الذين ادغموا يهوذا المذكور بقرياقوس اسقف اورشليم الخامس عشر المستشهَد حسب قول اوسابيوس ، في عهد ادريانوس . ولما بلغت هذه القصة الى الرها تألفت منها اسطورة هيلانة - قرياقوس موضوع المخطوطة رقم ١٤٦٤٤ من المتحف البريطاني، المنسوخة ، على الارجح ، في اوائل القرن السادس.

ثم ضمت الاسطورتان معاً في الرها ايضاً ، للتوفيق بينها ، وتألفت منها اسطورة بطرسية - هيلانة - يهوذا - قرياقوس ، موضوع المخطوطة الثالثة الاحدث عهداً رقم ١٢١٧٤ من المتحف البريطاني ، التي ترتقي نسختها كما قلنا الى القرن الثاني عشر .

فاصبح اكتشاف الصليب مرتين : الاولى على عهد يعقوب الرسول بسعي القديسة بطرسية ، والثانية على عهد قسطنطين الملك بسعي والدته هيلانة . وفي اواخر القرن الرابع كانت هذه الاساطير قد شاعت في كل النصرانية فردّدها مؤرخون ولدوا في اوائله ونسبوا الى القديسة هيلانة ، التي زارت اورشليم في الربع الاول منه ، فضل اكتشاف الصليب المقدس: كالقديسين امبروسيوس ، ويوحنا فم الذهب ، وبولينوس من نولي،والمؤرخين سولبيس ساويرس وروفينوس الاكويلاني . ومن اليونانيين سُقراط وسوزومين وتاودوريطوس.

ومما لا شك فيه ان حكاية اعتماد قسطنطين ويهوذا من يد اوسابيوس اسقف رومية مصدرها رهاوي . لانه لا يعقل ان غربياً يخلط بين هذا الاسقف واوسابيوس اسقف نيقوميدية ثم اسقف القسطنطينية ، الذي عمد قسطنطين في

آخر حياته ولهذه الاسباب نبذ المؤرخون الغربيون هذه الاسطورة بعد ظهورها بنصف قرن.

٢ — اسسها التاريخية

ولننظر الآن ما لهذه الاساطير من الاسس التاريخية، ملخصين مقالة الاب لكلير في هذا الصدد[1]

في بدء القرن الرابع كان القبر المقدس في حالة يرثى لها. فقد كان مطمورا في تل من التراب المكدَّس، يعلوه هيكل الزهرة الهة العشق. ففكر قسطنطين الملك في ان يضع حدًّا لهذه الاهانة اللاحقة بالصليب المقدس، وامر بهدم هيكل الزهرة ورفع الانقاض والردم. ولما ظهرت مغارة القبر امر بان تقام عليه كنيسة فخيمة، تقدمت المقاطعات الشرقية نفقتها. وكتب الملك الى مكاريوس اسقف اورشليم ان يسهر على فخامة البناء، والى دراسيليانوس، حاكم المقاطعة، ان يشرف على الاعمال ويؤمن سيرها.

عرفنا هذه التفاصيل من المؤرخ اوسابيوس، الذي اثبتها في ترجمة قسطنطين[2] وزاد عليها قوله: ان كنائس اخرى اقيمت في بيت لحم وعلى جبل الزيتون بعناية هيلانة والدة الملك، حين زارت فلسطين سنة ٣٢٦[3]

وفي سنة ٣٣٥ تمت كنيستا القيامة والجلجلة وحضر تدشينهما الاساقفة العائدون من مجمع صور، حيث حطوا القديس اثناسيوس الاسكندري عن كرسيه، لاسباب سيأتي ذكرها. وقد اسهب اوسابيوس في وصف فخامة الكنيستين وافادنا ان قسطنطين عيّن لتدشينهما عيدًا رسميًا في كل الامبراطورية كان المؤمنون يتقاطرون من كل الجهات الى اورشليم لحضوره.

امّا ميعاد اكتشاف الصليب فلا علم لنا به.

وقد انبأتنا السائحة أثيريا الفرنسوية، التي زارت فلسطين في اواخر القرن الرابع، ان الصليب ظهر في احد اعياد تدشين الكنيستين. وعرفنا من غير

---

١) راجع كابرول مج ٣: ع ٢١٣٤–٢١٣٧

٢) كتاب ٣: فصل ٢٦ ٣) فصل ٣١

وثائق ان حفلة تكريم الصليب ، التي كانت قسماً من حفلة التدشين ، ما عتمت ان فاقتها اهمية واصبحت اكبر مظاهرها.

بيد اننا لا نرى ذكرًا للصليب قبل سنة ٣٤٧ ، ولا ذكرًا لعلاقة القديسة هيلانة باكتشافه قبل اواخر القرن الرابع.

ففي سنة ٣٤٧ يشير القديس كيرلس الاورشليمي ، في مواعظه ، الى تزاحم المؤمنين للفوز بذخائر عود الصليب[1] . وقد عُثر في جزائر الغرب على كتابتين تشيران الى « خشبة الصليب المقدس » ، ترتقي الاولى منها الى سنة ٣٥٩

وفي سنة ٣٦٣ نرى يوليانوس الجاحد يتهم المسيحيين بعبادة خشبة الصليب. وكانت القديسة ماكرينا ، شقيقة القديس غريغوريوس النيصي ، تحمل في سنة ٣٧٩ ذخيرة عود الصليب . وقد وصفت السائحة أثيريا ، في سنة ٣٨٥ ، الاسقف حاملًا بين يديه ذخيرة عود الصليب في حفلة الجمعة الحزينة والمؤمنين مزدحمين حوله للتبرك منها[2] . واردفت بقولها : ان الصليب وُجد في احد اعياد تدشين كنيستين ، دون ان تذكر علاقة القديسة هيلانة باكتشافه . انما اخبرتنا ان قسطنطين امر ببناء الكنيستين بحضور والدته . وبعد هذا التاريخ تُعطى القديسة هيلانة الدور الاول في حادثة اكتشاف عود الصليب :

ففي سنة ٣٩٥ نسمع القديس امبروسيوس ، في اثناء رثائه للملك تيودوسيوس[3] ينسب اليها فضل اكتشاف خشبة الصليب . كذلك القديس يوحنا فم الذهب ، في عظته عن مار يوحنا ، التي لفظها بين سنتي ٣٩٠ و٣٩٥ يقول قوله ويضيف اليه ان « الحفريات قد اظهرت ثلاثة صلبان كان اوسطها حاملًا الكتابة المذكورة في الانجيل ، فعُرف منها انه الصليب الحقيقي »[4]. وفي سنة ٤٠٢ يؤكد لنا المؤرخ روفينوس[5] ، وعنه اخذ سقراط[6] ، ان مكان الصليب

١) العظة ٤ رقم ١٠ ، والعظة ١٠ رقم ١٩ ، والعظة ١٣ رقم ٤ ، من مجموعة مين للاباء اليونان مج ٣٣ ع ٤٦٩، ٦٨٨، ٧٧٦

٢) هي تعني القديس كيرلس الاورشليمي لانه توفي في سنة ٣٨٧ كما سبق القول.

٣) مجموعة مين للاباء اللاتين مج ١٦ ع ١٣٩٩

٤) مجموعة مين للاباء اليونان مج ٨٥ رقم ١

٥) روفينوس : تاريخ الكنيسة مج ١ ف ٧و٨

٦) مج ١ ف ١٧

كان مجهولًا قبل مجيء هيلانة الى اورشليم ، انما الرب قد الهمها فأمرت بالحفر ووجدت ثلاثة صلبان حارت في ايها الحقيقي . فاستحضر القديس مكاريوس امرأة مشرفة على الموت ، نالت الشفاء التام بمجرد لمس الصليب الحقيقي ، فشيدت له هيلانة كنيسة عظيمة.

وفي هذه السنة ايضاً ٤٠٢ يخبرنا القديس بولينوس من نولي[١] وسولبيس سويرس المستقي منه[٢]ان الملكة استرشدت الى مكان الصليب من اجماع آراء اليهود ، فأجرت الحفر . ولما ظهرت الصلبان ، استحضرت ، هي لا مكاريوس ، جثة ميت ، لا مريضة ، وعرفت الصليب المقدس من اعجوبة اقامته.

واقدم الشهادات عن الصليب هي للقديس كيرلس الاورشليمي . ففي الرسالة التي اوفدها سنة ٣٥١ الى الملك قسطنس ابن قسطنطين يعلمه بانتخابه اسقفاً على اورشليم ، ويخبره عن اعجوبة ظهور صليب من نور في الجو بين الجلجلة وجبل الزيتون ، شاهده كل سكان اورشليم . ويبدأ كلامه بقوله « في عهد والدك ، ذي التقى والذكر الصالح ، وُجدت في اورشليم خشبة الصليب المقدس . لان الله انعم على هذا الرجل بان يجد الاماكن المقدسة . »[٣]

وقد انكر بعضهم نسبة هذه الرسالة الى القديس كيرلس للفقرة الاخيرة الواردة فيها عن الاستحالة . انما يعتقد اغلبهم بصحة نسبتها وان الفقرة دخيلة .

١٠ — الاعتراض عليها

يلخص الاب لكلير ، في مقالاته المنشورة في معجم الآثار ، آراء الذين سبقوه في درس هذا المشكل التاريخي وانكروا علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة وحججهم :

١ — سكوت المعاصرين عن ذكر خشبة الصليب قبل سنة ٣٣٧

٢ — لم ينسب احد الى الملكة هيلانة فضل اكتشاف الصليب قبل

---

١) رسالة ٣١ رقم ٣ ٢) التاريخ المقدس مج ٢ ف ٣٣

٣) مجموعة مين للاباء اليونان مج ٣٣ ع ١١٦٨

سنة ٣٩٠

٣ — لم تزر هذه الملكة اورشليم قبل سنة ٣٢٦ ، وقد بلغت الثمانين ولم يبقَ امامها من الحياة سوى سنتين او ثلاث.

فقسطنطين في رسالته الى مكاريوس ، التي يوصيه فيها بالسهر على فخامة بناء كنيستي القيامة والجلجلة ، لا يذكر اكتشاف الصليب ولا علاقة والدته به ناهيك عن ان مؤرخه اوسابيوس ، الذي اسهب في ترجمة حياته وذكر زيارة والدته لبيت لحم وجبل الزيتون سنة ٣٢٦ ، لم يأتِ بذكر حفريات الجلجلة ولم يشر بكلمة الى الدور الذي نُسب الى الملكة في اواخر القرن الرابع بانها شرعت في التحقيق عن مكان الصليب ، وامرت بالحفر للبحث عنه ، واقامت له كنيسة بعد ظهوره.

وهكذا قل عن القديس كيرلس الاورشليمي ، الذي اشار في رسالته الى قسطنس الى اكتشاف الصليب في عهد والده ، وذكر في عظاته انتشار عبادة الصليب وذخائره ، قد سكت سكوتاً تاماً عن علاقة والدته به.

والسائحة أثيريا التي زارت اورشليم سنة ٣٨٥ قد اخبرتنا ان الصليب اكتشف في اثناء تدشين كنيستي القيامة والجلجلة سنة ٣٣٥ ، اي ثماني سنين بعد اكتشاف القبر ، دون ان تشير بكلمة الى القديسة هيلانة.

وهَب ان القبر ظهر قبل الصليب ، وان الصليب لم يكن مدفوناً في القبر بل في مكان الصلب نفسه ، وانه لم يكن بعد قد اكتشف حين كتب قسطنطين رسالته الى مكاريوس ، فكيف نفسر سكوت اوسابيوس المؤرخ عن هذا الحادث ، وهو قد كتب حياة قسطنطين بعد وفاته سنة ٣٣٧ ، والاسطورة السريانية تدعي ظهور الصليب سنة ٣٢٦ . هذه العقدة لا تُحلّ . فالعقل لا يتصور ان قسطنطين واوسابيوس ، المتحمسين لظهور القبر ، لا يكترثان البتة لاكتشاف الصليب.

زد على ذلك ان سائح مدينة بوردو ، الذي زار اورشليم سنة ٣٣٣ ووصف عمود الجلد ودار قيافا وايوان بيلاطس وجبل الجلجلة ومغارة القبر وكنيسة القيامة ، كيف امكنه السكوت عن ذكر الصليب المقدس ، لو كان

الصليب موجودًا.

وخلاصة القول : ليس لدينا دليل على ان الصليب قد وُجد في سنة٣٢٦، حين زيارة القديسة هيلانة لاورشليم ، ولا قبل سنة ٣٣٣ التي حجّ فيها سائح بوردو الى المدينة المقدسة ، ولا قبل سنة٣٣٥ ، التي قصد فيها المؤرخ اوسابيوس الى هذه المدينة لحضور حفلة تدشين الكنيستين.

بيد انه يتحتم علينا ان نحدد ميعاد اكتشافه قبل سنة ٣٤٧ ، التي وصف فيها القديس كيرلس تهافت المؤمنين على اكرام ذخيرته والحصول على جزء منها ، وبعد سنة ٣٣٥ التي حضر فيها اوسابيوس حفلة التدشين . اننا نجهل زمان هذا الاكتشاف والظروف التي احاطت به. هل كان في سنة ٣٣٥ ، التي تكرست فيها الكنيستان ، كما يستدل من اقوال السائحة أتيريا ، وما هي الوسائل التي اتخذت لمعرفة مكانه وتمييزه عن الصليبين الآخرين ؟ هل استرشدت الملكة باقوال اليهود ام خضعت لالهام الهي ؟ هل عرفته من اقامة الميت ام من شفاء المريضة التي استحضرها الاسقف مكاريوس ؟ ... فالاقوال متناقضة بهذا الخصوص . ومهما كان الامر فليس لدينا اشارة الى علاقة هذه الملكة باكتشاف الصليب قبل سنة ٣٩٠ . ففي هذا الحين تظهر الملكة فجأة في هذا الحادث وتمثل فيه دورًا مهمًا ، كما ان الآراء فيه تتعدد وتتضارب ، مما يحملنا على الشك في الامر ، ان لم نقل على نبذه كرواية خيالية.

اما الليتورجية فلا تطفئ لنا غلة بهذا الصدد. جاء في المونولوج الباسيلي انه بعد تدشين الكنيستين سنة ٣٣٥ : أُذن للشعب في مشاهدة عود الصليب للمرة الاولى . وقد جاءت هذه الوثيقة متأخرة فلا يسعنا التعويل عليها.

وقد عرفنا من سوزومين المؤرخ(٤٤٣-٤٤٤) انه تعين لتدشين الكنيستين عيد رسمي كان يدوم ثمانية ايام ويُحتفى به في كل الامبراطورية . انما لا يذكر عيدًا خاصًا بارتفاع الصليب . اما اسكندر الراهب الذي عاش في القرن السادس ، فيؤكد لنا ان الآباء القديسين ، بناء على ايعاز الملك قسطنطين ، حددوا يوم ١٤ ايلول عيدًا واحدًا لتدشين الكنيستين ولظهور الصليب . وقد كانت حفلة ارتفاع الصليب هيبسوزيس ὕψωσις أحد اقسام حفلة التدشين ،

وما لبثت ان اصبحت اكبر مظهر فيها ، كان المؤمنون يتوافدون من كل انحاء الامبراطورية لحضورها . وجاء في قصة مريم المصرية انها ركبت البحر من الاسكندرية في سنة ٣٨٠ برفقة الحجاج المسيحيّين القاصدين الى القدس لمشاهدة حفلة ارتفاع الصليب . ولما شاهدت الخشبة التي عُلق عليها الفادي الالهي تخشّعت وآمنت وتابت توبة نصوحة . وجاء في سياحة اثيريا ان عيد التدشين يُحتفى به احتفاء عظيماً ، لان فيه قد وُجدت خشبة الصليب ، وان الآباء قد وحدوا العيدين زيادةً في حفاوتها وفي سرور المؤمنين ، واردفت بقولها : « ان الجماهير كانت تود لحضور هذا العيد العظيم من عدة مقاطعات : من بين النهرين وسورية ومصر العليا والسفلى . » وكلاهما يثبت ان عيد ارتفاع الصليب كان منذ ذلك العهد يحتفى به في الرابع عشر من ايلول . وقد وافقها في ذلك القديس تيودوسيوس . وذكر المؤرخان تاودوريطوس وتاوفانوس ان الخشبة المقدسة كسّرت الى قسمين . الاول اودع ذخيرة ثمينة من فضة ابقيت في اورشليم ، والآخر حُمل الى القسطنطينية حيث اجتمعت ، فيما بعد الذخائر الثلاث ، كما ذكرنا ، وبلغت الحفاوة بها حداً بعيداً من الابهة . ويرجح الاب لكلير ان تعميم هذا العيد على الشرق كله يرجع الفضل فيه الى العاصمة البيزنطية . وقد كان يجري الاستعداد له في الايام الاربعة السابقة . وتقام حفلة الارتفاع « هيسوزيس » في الرابع عشر . ويُختم العيد في الاحد التالي .

١١ — نقد النقد

ولننظر الآن اولاً ما قيمة هذه الاعتراضات . ثانياً هل يصح تطبيقها على ميمرنا . ثالثاً اذا صح تطبيقها عليه هل تنفي نسبته الى القديس كيرلس .

١ — قيمة الاعتراضات

قد مر بك ان اهم ما يستند اليه الاب لكلير والقائلون قوله لانكار علاقة القديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة ، او بالاحرى لانكار صحة معلومات الاساطير السريانية ، هو ، اولاً سكوت المعاصرين عن

هذا الاكتشاف وهذه العلاقة . خاصة قسطنطين في رسالته الى مكاريوس ، واوسابيوس في ترجمته لقسطنطين . ثانياً لم يذكر احد هذه العلاقة قبل سنة ٣٩٠ . ثالثاً لم تزر هذه الملكة فلسطين قبل سنة ٣٢٦ ، وكانت في سن الثمانين . رابعاً مغالاة الاساطير وتناقضها في تفاصيل الاكتشاف.

فليسمح لنا حضرته بلفت نظره اولاً الى ان السكوت عن امر لا يصح اتخاذه قاعدة لنفيه . فالسكوت عن اكتشاف الصليب لا ينفي ظهوره الا اذا ثبت ان رسالة قسطنطين الى الاسقف مكاريوس ذكرت كل ما له علاقة بالقبر والاماكن المقدسة ، وان تاريخ اوسابيوس ذكر كل ما له علاقة بقسطنطين ومعاصريه وانه وصل الينا كاملاً سالماً . وهذا ما لا يسلّم به احد . نعم ان مثل هذا السكوت يثير الشك انما لا ينقض وثيقة صريحة معاصرة ، الا اذا ظهرت وثيقة احق منها بالتصديق . والى ان يبرز لنا حضرته ومظاهروه مثل هذه الوثيقة ، لنا ملء الحق ان نتمسك بما لدينا . لاسيما ان حضرته لم يتحفنا بسوى التأويلات والاوهام . واذا عثرنا في الاساطير على بعض المغالاة ، وفي روايات القرن الرابع على بعض التناقض ، فهي في التفاصيل الثانوية التي لا تجيز نبذ الاصل برمته . ولو تخلينا عن هاتين القاعدتين لقلبنا التاريخ رأساً على عقب.

فضلاً عن ان الاب لكلير نفسه يقول[1] في ترجمة قسطنطين التي نظمها اوسابيوس انها « عبارة عن تقريظ مقدّم لشخص جعله اليونان بين مصاف القديسين ، وغالوا منذ ذاك الوقت في مديحه » . فلا غروَ من ان يهمل المطرى في كتابه ما ليس لمترجمه فيه فضل ، او ان ينسب اليه ما لم يأته من الحسنات .

وقد راجعنا رسالة قسطنطين الى الاسقف مكاريوس فلم نجد فيها اشارة صريحة الى اكتشاف القبر المقدّس ، والارجح انه يشير الى اكتشاف الصليب والمسامير . فهو يتكلم عن ظهور « تمثال الآلام » (*monumentum passionis*)

---

١) كابرول : ع ٢٦٣٤

ولا يصح اطلاق هذا التعبير على القبر المقدس لان المسيح لم يتألم فيه بل على الصليب.

وقد داخلنا الريب في صحة الترجمة وعدنا الى النص الاصلي اليوناني[1] ، فتحققنا خطأ المترجم لانه عبّر عن كلمة τὸ γνώρισμα بكلمة monumentum اي تمثال او بناء مع ان معناها الحقيقي « علامة ، شارة » . وهي لا تأتي بالمعنى الذي اختاره المترجم الا نادرًا او بصيغة الجمع لا المفرد ؛ كما نبّه الى ذلك اصحاب القاموس المطوّل المسمى «كنز اللغة اليونانية» المستندين الى الكتبة اليونان القدماء[2] . اما بايلي الذي يستند في قاموسه الى القدماء والمتأخرين معًا[3] ، كالآباء القديسين ، فلا يذكر مطلقًا هذه الكلمة بمعنى تمثال بل يكتفي بقوله : Signe. Marque. Ce qui fait reconnaitre اي علامة ، اي ما يستدلّ منه على الشيء.

وقد اصاب مترجم المؤرخ تاودوريطوس الذي اثبت نصّ هذه الرسالة[4] فنقل الجملة المذكورة بقوله passionis illius sanctissimæ signum اي علامة آلامه المقدسة . ونجد ايضًا كلمة τὸ γνώρισμα بصيغة المفرد في سقراط المؤرخ[5] الذي اورد نص هذه الرسالة.

فان صحّ القول بان قسطنطين يقصد بهذه الرسالة ظهور « اداة الآلام » اي الصليب والمسامير ، لا القبر وحده ، تسنى لنا للمرة الاولى ترتيب الحوادث التي سبقت ولحقت هذا الاكتشاف وتعيين سنة ٣٢٦ تاريخًا له ، وهدم رأي الاب لكلير والقائلين قوله بان الصليب ظهر بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧ ، وتعيين تاريخ الرسالة المذكورة.

(١ Eusebius, *De Vita Constantini* I. III. XXX P. G. 1090

(٢ *Thesaurus Græcæ linguæ ab* Henrico Stephano. Carolus Bened. Hase, Gulielmus et Ludovicus Dindorfus... Parisiis. Firmin Didot, 1833, p. 688.

(٣ A. Bailly. *Dict. Grec-Français*. Hachette. Paris, 1894 p. 411

(٤ P. G. 82 col. 955

(٥ Socr I. IX P. G, 67, col. 95

وما يخوّلنا الحق في ذلك قول قسطنطين في هـذه الرسالـة «جاء هذا الاكتشاف العجيب على اثر تخلص المسيحيين من عدوّهم الاكبر» . وقد ادلى مترجم تاريخ اوسابيوس[1] ببراهين تدلّ على ان قسطنطين يقصـد «بالعدو» صهره ليشينيوس (Licinius) الذي كان يشاطره الملـك . فقد جدد هـذا الاضطهاد على المسيحيين فحاربه قسطنطين ودحره في ١٨ ايلول سنـة ٣٢٤ ، واضطرّه الى التنزّل لـه عن حصته في المملكة الرومانيـة . ونحن نعلم ان ليشينيوس توفي سنة ٣٢٥[2] ، التي التأم فيها المجمع النيقوي ، في شهر آب . وان مكاريوس اسقف اورشليم عاد من هذا المجمع متسلحاً باذن من قسطنطين بان يهدم هيكل الزهرة الـذي كان يعلو قبر المسيح . وان الملكة هيـلانة وصلت الى اورشليم بعيد ذلك اي في سنة ٣٢٦ كما اخبرنا اوسابيوس نفسه . فهي اذًا قد اشرفت على اعمال رفع الانقاض عن القبر المقـدس فظهرت مغارة القبر وداخلها الصلبان والمسامير كما روى ميسرنا . وحضرت ايضاً مباشرة بناء كنيسة القيامة فوق الجلجلة التي ضمت ضمن جدرانها مكان الصلب والقبر . ولما علم قسطنطين بهذا الاكتشاف كتب الرسالة التي نحن بصددها الى مكاريوس اسقف اورشليم يكلفه السهر على زخرفة الكنيسة . ولعلّ قسطنطين يعني «باداة الآلام» القبر والصليب والمسامير معاً وقد ظهرت كلها في آن واحد كما يروي القديس كيرلس في الميمر.

كل هذه المعلومات الثمينة تصبح حقائق تاريخية يصح تدوينها على هـذا الترتيب في تاريخ الكنيسة . فيرتفع الغموض الذي حام حتى الآن حول ظهور هذه الآثار المقدسة وتتبدد الشكوك التي رافقت حتى اليوم علاقـة القـديسة هيلانة باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة.

اما تعيين الاب لكلير[3] تاريخ اكتشاف الصليب بين سنـة ٣٣٥ ، التي حضر فيها المؤرّخ اوسابيوس تدشين كنيستي اورشليم ، وسنة ٣٤٧ التي وصف

١) P G. XX. 1090, nota 94.
٢) راجع ، في تاريخ انكسار ليشينيوس ووفاته ، معجم كابرول ٣ : ٢٦٢١ و٢٦٢٢
٣) كابرول : ع ٢١٢٧

نيا القديس كيرلس الاورشليمي المؤمنين متهافتين على الفوز بذخيرة عود الصليب ، قلنا عليه ثلاث ملاحظات :

الاولى نرى ان نحجّ حضرته بحجته ونقول : اذا كان سكوت اوسابيوس كافياً لنفي علاقة الملكة هيلانة باكتشاف الصليب ولانكار ظهوره قبل سنة ٣٣٥ ، تحتم على الاب لكلير ان يؤجل ميعاد هذا الاكتشاف الى بعد وفاة قسطنطين سنة ٣٣٧ . لان اوسابيوس لم يكتب ترجمته الا بعد هذه الوفاة فادخاله سني ٣٣٥-٣٣٧ في ميعاد هذا الاكتشاف يخرج به عن القاعدة التي وضعها لنفسه ولغيره ويناقض به ذاته بذاته .

الثانية : ونراه قد ناقض نفسه ايضاً في جعله سنة ٣٤٧ حدّاً اقصى لظهور الصليب ، مستنداً الى اقوال القديس كيرلس الاورشليمي في مواعظه عن ذخيرة الصليب[1] ، وهو يأتي بعد ذلك بشهادة اخرى للقديس كيرلس نفسه وردت في رسالته الى قسطنس الثاني ابن قسطنطين[2] حيث يقول «في عهد والدك التقي وصاحب الذكر الصالح وُجدت في اورشليم خشبة الصليب المقدس» . ولما كان قسطنطين قد توفي في ١٢ ايار سنة ٣٣٧ ، فتحتم على الاب لكلير ان يُقدِّم ميعاد اكتشاف الصليب الى ما قبل هذه السنة ، لا ان يؤخره الى سنة ٣٤٧ .

الثالثة : يقول حضرته[3] نقلًا عن اوسابيوس ان مكاريوس اسقف اورشليم، بعد عودته من مجمع نيقية ، الذي انتهى في ٢٥ آب سنة ٣٢٥ ، باشر باذن قسطنطين هدم هيكل الزهرة ، الذي كان يعلو القبر المقدس ، وتنظيف المكان وحفر أساسات كنيسة القيامة . ولما ظهرت مغارة القبر كتب اليه قسطنطين يهنئه ويخبره عن الاوامر التي اصدرها الى الحكام في شأن بناء الكنيسة ويرجِّه

---

١) كابرول مج ٣ : ع ٣١٣٥

٢) ع ٣١٣٦ ، راجع ايضا بمعجم فاكان مج ٣ : ع ٢٥٢٦ ، عن صحة نسبة هذه الرسالة الى القديس كيرلس

٣) ٣١٣٤ راجع ايضاً مقالة الاب آبل في معجم كابرول مج ٧ : ع ٢٣١٢

الاشراف على زخرفتها . وجاء في مقالة الاب آبيل في المعجم نفسه[١] « ان القديسة هيلانة لما زارت اورشليم كان حفر اساسات كنيسة القيامة قد بلغ الى آخر عمقه ، لان الاسطورة تنسب اليها اكتشاف الصليب.» والاب آبيل يمثل آراء كثيرين غيره من العلماء الذين يعتقدون ان الصليب اكتشف في اثناء حفر اساسات كنيسة القيامة . ونحن نعلم ايضاً من اوسابيوس ان كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون بنيتا بسعي الملكة هيلانة حينما كانت في فلسطين[٢] . ونعلم من اثيريا[٣] ان كنيسة القيامة بنيت ايضاً بحضورها . فاذا كانت القديسة هيلانة في اورشليم سنة ٣٢٦ فقد حضرت عملية ازالة الردم ، التي اظهرت مغارة القبر ، وحضرت ايضاً حفر اساسات كنيسة القيامة ، حيث يُرجح العثور على الصليب ، فضلاً عن انها بقيت في اورشليم الى قبيل وفاتها سنة ٣٢٩[٤] ، فكيف ينكر الاب لكلير علاقتها باكتشاف القبر والصليب وبناء كنيسة القيامة ؟ لاسيما ان اثيريا التي زارت اورشليم سنة ٣٨٥ اي في عهد القديس كيرلس تفيدنا انها بنيت بحضورها[٥] . وكيف نتصوّر ان تكون شاهدت هذه الحوادث الخطيرة في تاريخ النصرانية ولا تعيرها الاهمية والمساعدة ؟ وهي التي تجشمت عناء سفر طويل في سن الثمانين لزيارة الاماكن المقدسة ، وكان ابنها قد وضع تحت تصرّفها خزنة المملكة[٦] . ولا بأس ان تتم كنيسة القيامة وتُدشن بعد موتها اي في سنة ٣٣٥ ، بل يكفي ان تشرف على بدء الاعمال ليجوز لنا القول انها سعت وساعدت فيها . وهي التي اقامت وحدها كنيستي بيت لحم وجبل الزيتون . والغريب ان الاب لكلير يقول عنها في المحل ذاته : « حالما اعتنقت

---

١) مج ٧ : ٢٣١٢ ، راجعه ايضاً في كتابه عـ اورشليم ج ٢ صفحة ٩٠٣ H. Vincent et F. M. Abel. *Jérusalem*. Paris, Lecoffre, 1914.

٢) كابرول مج ٣ : ع ٢١٢٤

٣) كابرول مج ٣ : ٢١٢٥

٤) كابرول مج ٣ : ع ٢٦٢٣ ومج ٦ : ع ٢١٢٩

٥) مج ٣ : ع ٢١٢٥

٦) مج ٦ : ع ٢١٢٨

النصرانية اظهرت عبادة حارة نشيطة ، حتى ان اسمها اصبح مقروناً بتاريخ الاماكن المقدسة واكتشاف الصليب » . فنحن لا نرى بعد ذلك في علاقتها بهذا الاكتشاف « امراً غريباً وعقدة لا تُحل » كما يدعي حضرته[1] ، بل نرى غريباً ومعقداً ان لا يجري الامر بخلاف رأيه.

ولنختم ردنا بملاحظة اخيرة على تناقض الاب المذكور . يقول في مقالته المذكورة[2] : يُستدل من كلام القديس كيرلس الاورشليمي في عظته ٤ : رقم ١٠ و١٠ : رقم ٩ ان عبادة تكريم الصليب قديمة . واليك عبارته بالفرنسوية « *Cyrille de Jérusalem* (*catech*. IV, 10, X, 9) *parle déjà du culte de la croix comme ancien.* » ولما كان حضرته يصرح[3] ان هاتين العظتين أُلقيتا في صوم سنة ٣٤٧ فكيف جاز له بعد ذلك ان يعين اكتشاف الصليب بين سنتي ٣٣٥ و٣٤٧ ؟ هل هذه المدة كافية لتلقيب عبادة تكريم الصليب « بالقديمة » ؟

---

١) مج ٣ : ع ٢١٢٧
٢) ع ٢١٢١ : حاشية ١٠
٣) ع ٢١٢٥

(لها بقية)

المبتذلات !

بقلم يوسف غصوب

قد يتوهم القارئ اني حاملٌ على الكتاب والشعراء حملة شعواء لما افرطوا في المبتذل نثرًا وشعرًا حتى جاوزوا الحدّ المبا . لا فما انا والج هذا الباب ، ولا راكب مطية نقدٍ تعودًا سهلة القياد ، بل منشدٌ انشودة الشكر ، ناشرٌ راية الفضل لهذه « المبتذلات » التي تحفّ بنا من كل جانب ، وتغمرنا بخيرها وصلاحها ، كما يحفّ بنا الاثير ، ويحفظ فينا الحياة فيجدّدها كلما رثت او تغيّرت.

كنت في نزق الصبا اتذمّر من كل حديث خلو من لذة او فكرة يتمتع بها القلب او يرضاها العقل ، فكنت أتأفف واحاول الهرب والاعتزال ، بعيدًا عن المخاطبات الجوفاء ، والمناقشات العجفاء . ثم لما اضطررت الى الاخذ والعطاء والتعامل مع الناس اخذت هذه الكراهية للمبتذل من كل شيء تخف وتتضاءل حتى اضمحلت ، وتركت مكانها عاطفة رأفة ، ثم ميل ، ثم مودة لهذه التوافه العادية التي تعترضنا في كل خطوة نخطوها ونسمة نتنشقها.

ليس الابتكار مما يقرب تناوله في كل حين ، والتمتع به في كل لحظة . فهو اعزّ من عنقاء مغرب ، واثمن من الجواهر النادرة ، فمن جعل دأبه السعي وراءه حمّل قلبه هماً ناصباً، ونغص عيشه تنغيصاً، وقد لا تجديه «المبتكرات» نفعاً ولا تدفع عنه ضرًا ولا تسهّل له امرًا . اما « المبتذلات » فانها نعمة الله في ارضه قريبة المأخذ ، سهلة الاستعمال ، تغذي الاحاديث ، وتقصر الاوقات ،

وتملأ الجرائد ، وتمدّ الخطباء ، وقد تكون واسطة التعارف بين القلب والقلب وهمزة التقرب من الاغنياء ، ومرقاة الى العظماء ، وطريقاً الى «رجال الساعة» . وانها لتعزّي الحزانى ، وتسلي الايامى ، وتخدع العذارى ، وتحلي الشبان ، وتحيي السهرات في الشتاء ، والنزهات في الصيف ، وتحول دون الضجر ، وتكون عوناً على كتمان الاسى ، وستراً للحقد والضغينة ، وقد تمنع من اثارة العداء بين المتحاسدين والمتنافسين ، وقد . . . وقد . . .

فلله درّها ما انفعها !

تصوّر ، يا سيدي ، سيّدات مجتمعات في احدى القاعات ، وقد دار الحديث ، وعلت الضجة ، وتطاير الضحك ، وافلتت الالسنة ، فهل يتمكنَّ من التعاشر والتآنس لولا الالتجاء الى ما اعتدنه من مبتذلات الاحاديث كالتشكي من الخدم ، والتذمّر من الرجال ، والتوسّع في كيفية اعداد المآكل والمشارب والمربيات ، والاسترسال في اخبار القبعات والفساطين ، وفي القال والقيل ، وافراغ قلوبهنّ من كل ثقل او سرّ او نميمة ، وقد تتكلم احداهنّ ولا تنتبه الاخرى لحديثها ، فتردّ هذا الحوار في موضوع غريب عنه ، وليس في ذلك كبير امر ، فما القصد الا «قتل الوقت» بكل مبتذل من افكار او اخبار . ولو فرض على كل سيدة من المجتمعات ان تبتكر جملة او فكراً لقضين الوقت في صمت شامل .

دع السيدات واسأل التجار عن احاديثهم مع زبائنهم من نساء ورجال ، فهل في طاقتهم ان يلجأوا الا الى ما اعتادوه من مبتذلات الجمل التحيّية والتبجيلية ، فهم يمدحون فطنة الشاريات وجمال الآنسات وذوق الأمهات ، ويحلفون الاقسام المحرّجة والايمان المغلظة ، ويرددون ذلك كل يوم من صباحهم حتى مسائهم ، ولو عمدوا الى الابتكار في الحديث لما باعوا ولا شروا

خذ الطبقة الراقية من الادباء . فهل لهم اذا اجتمعوا على شرب او في حفل ان يخرجوا عن المبتذل من آرائهم واقوالهم ؟

خذ قادة الرأي العام ، واصحاب السلطة والمقامات ، فهل هم يسيرون على

غير ما اختطّ لهم السابقون ! فكلهم يخشى ان يحيد عن الطريق المعبّد ، ويفضل الابتذال على خطر الابتكار .

كل شيء مما يحيط بنا مبتذل . فالحديث مبتذل ، والثياب المبتذلة لولاها لعري الناس ، وان من دعاها في لغتنا الكريمة « بذلات » ، فانه ، ولا شك ، قد نظر الى هذا المعنى فيها .

اما المبتذل من البناء فهو في جميع المدن والقرى فلا تكاد تقع العين الا عليه . فبيوت بيروت مثلاً هي على طراز واحد ولم تخرج عن ابتذالها الا قليلاً ، وذلك بعد الحرب . اما قبل الحرب فكانت نسخة واحدة .

والمبتذل من الناس تكاد ان لا ترى غيره . فالبلدان الواسعة الارجاء المترامية الاطراف تضيق بالرجال العاديين المتساوين في الدرجات الانسانية ، والافكار الشائعة ، والعواطف العامة ، والمخاوف والخرافات والعقائد والعادات ، حتى ان النوابغ منهم لا يطيقون الافلات من المبتذلات . فكم من كتاب وكم من خطبة وكم من مقالة دبّجتها يراعة المشاهير منهم هي مفعمة ابتذالاً ! وكم من قصيدة جادت بها قرائح فحول الشعراء هي دون المبتذل من النظم ! فالمبتذل هو الخزينة العمومية الطافحة الفائضة بالغنى تمدّ اليها الايدي من كل طبقات الناس . فالصعاليك لهم فيها نصيب ، والملوك لهم فيها نصيب اوفر . هي الغنى والسعادة ، هي قوة البلاد ، وحياة العباد .

فلو فرض المستحيل وحظّر على الناس التبذل فما اهول الشر وافدح الخطب! فلا سبيل عندئذٍ للعيش ، ولا للتعامل ، ولا للاجتماع ، ولا للحديث . فكم من سيدة تقفل باب قاعتها ! وكم من خطيب يخرس ! وكم من شاعر يصمت ! وكم من كتاب يطوى ! وكم من جريدة تصدر بيضاء ! وكم من عشرة تبطل ! وكم من صداقة تحلّ ! وكم من فكاهة تذوي ! حتى انه ليقضى على تسليم الناس بعضهم على بعض . حتى انه ليبتلى القوم بالخرس والصمم والعمى !

فاذا عرفت ذلك ، ايها القارئ الكريم ، فافض بالحمد لله على هذه المنة ، واشكره كثيراً ، وانظم المدح اشكالاً والواناً في تقريظ « المبتذلات » ، ولا تقتصد ولا تبخل بما عندك من الفاظ طنانة راوزان رنانة فانها لا تذهب

سدى .

***

اما اذا هللنا لهذه النعمة في الحياة الدارجة والمعاملات والمجاملات ، فيحق لنا ان نكون اشد تطلباً واصعب مراساً عندما نحاول ان نخرج طوعاً من عالم « المبتذلات » الى عالم ارقى واشرف ، فنأخذ مثلاً ديواناً من الشعر او قطعة من الموسيقى ، او صورة من الصور ، لتحول مجرى حياتنا ولو قليلاً وتغذي نفوسنا بغير هذا الطعام العادي ، فيجب على الاقل ان لا تكون هذه الآثار التي تمنحها ثقتنا فارغة كل الفراغ من شيء مبتكر غريب يثلج الصدر ويكون لنا مكافأة على محاولتنا ترك حياتنا الهادئة المستكينة المبتذلة ، واقتحامنا المتاعب والعقبات للاشراف على شيء جديد .

وما نحن بالطامعين كثيراً ، بل نرضى ان نرجع من جولتنا بالشيء اليسير ، بالفكر الواحد من كتاب ضخم ، بالبيت الواحد من قصيدة مثوية ، بالصورة الواحدة من معرض تصوير ، بالنغمة الواحدة من مغناة . ولكننا كم رجعنا بعد طول العناء بخفي حنين !



اثر قديم

للبطريرك مكاريوس ابن الزعيم

نشرها الياس حسون الملوف

اتانا من حضرة الاديب الياس حسّون الملوف في المجيدئة – بكنيا ما يلي :

. . . طالعت باممان كلي المقال المنشور في العددين ٨ و٩ (آب وايلول) من مشرقكم الزاهر بشأن الاعتقاد بطبيعتي السيد المسيح له المجد.

ولما كان لدي مقالة تشير الى هذه العقيدة اخذتها عن مخطوط قديم وضعه المثلث الرحمات البطريرك مكاريوس ، بطريرك انطاكية وسائر المشرق ، المعروف بابن الزعيم حينما كان في تفليس عائدًا من المطرة الثانية الى روسية ، انقلها اليكم راجياً نشرها في مجلتكم الموما اليها لانها مما يستحق النشر. قال ، رحمه الله ، بعد ان اورد وقائع فتح السلطان محمد الثاني العثماني القسطنطينية وكيف اباح لعساكره السبي والنهب والتدمير الخ.

ثم بعد ثلاثة ايام امر السلطان ونادى بالامان وبرجوع النصارى الروم الى المدينة لانها بعد الفتح اقفرت من السكان ولم يبقَ فيها غير العساكر واطلق التنبيه بان لا يعترضهم احد في معتقدهم وعوايدهم وقضائهم وان يسكنوا في محلاتهم بكل حرية ويباشروا اشغالهم بحسب احوالها.

فعاد الروم الى المدينة حسبما امر السلطان واوعز الى الاساقفة والقسس ان يختاروا بطريركاً جديدًا فاختاروا الصالح الذكر والطيب الاثر جارجيوس سكولاريوس الذي كان قاضياً معروفاً بالنزاهة والحكمة والعلم الواسع ورقوه بسرعة الى درجة الاسقفية وانتخبوه بطريركاً باسم جناديوس ولما كانت الاصول المتبعة من ملوك الروم انه حين ينتخب بطريرك يعطيه الامبراطور من يده عصاً من الذهب مرصعة بالحجارة الكريمة ويركبه على فرس كريم مسرج بسرج مذهب ويطاف به بكل اكرام في كل المدينة محاطاً بعظماء المملكة اكراماً له:

فهذا جميعه صنعه السلطان المذكور مع البطريرك المومأ اليه اكراماً له وارضاء لمله. وسارت جميع الملوك بني عثمان مع الروم على هذا السبيل.

وفيما بعد انطلق السلطان الى البطريرك وصار بينهما جدال في شؤون الدين المسيحي وايمانه.

وامر السلطان ان تكتب الاسئلة والاجوبة على صحيفة باللغات اللاتينية واليونانية والتركية والعربية. فابتدأ البطريرك يشرح للسلطان والكتبة تكتب باللغات المذكورة.

قال البطريرك :

اننا نؤمن بان الله خلق كل موجود مما لم يوجد. وانه غير ذي جسم تام بالحكمة لا بدائة ولا نهاية له موجود في العالم وهو يفوق العالم. لا يخلو منه مكان. وهو في كل مكان. وهو حكيم صالح حقيقي وهو الحق نفسه قد حوت صنائعه التوزيع بسابق ايعازه وهو وحده ارفع سمواً وكمالاً. وهذا الكمال حوته خليقته بانعامه عليها. وخليقته هي غيره لانه بما انه حكيم يحكمها. وبما انه الحق يحققها وامثال ذلك من هذه الاشياء. بما انه اله ورب قد حواها. واما خليقته فبحسب الشركة والاستئهال فقد انالها ذلك. ونؤمن ايضاً ان الله ثلثة خواص وهي عنصر خواصه وينبوعها لاجل هذه الثلثة هو اله حي ازلي في ذاته قبل ان يبدع العالم منه. ولذلك ابدع العالم وهو مدبر العالم. وهذه الثلثة خواص ندعوها الثلثة الاقانيم اي ثلاثة وجوه. وهذه الثلثة الخواص لا تنقسم بالوحدانية لاجل ذلك هو اله وليس ثلثة الهة. ونؤمن ان من طبيعة اللاهوت اشرقت الكلمة والروح كما انه من النار يكون انوار (النور) والحرارة. وكما ان من النار يُستمد النور والحرارة. وهذه النار لا يخلو منها النور والحرارة بل تبعث لنا نورها وحرارتها. فعلى هذه الجهة قبل ان يبدع الله العالم كانت الكلمة والروح مساهمين طبيعة اللاهوت لان الله عقل وهذه الثلثة الاقانيم عقل وكلمة وروح اله واحد كما ان في نفس الانسان الواحدة عقل وكلمة. اي كلمة عقلية ونطق وارادة عقلية وهذه الثلثة هي نفسها واحدة بحسب الجوهر. وكذلك كلمة الله ندعوها حكمة الله وقوة الله وابنه. لانها مولودة من طبيعته وبحسب

الحياة في بيروت

على عهد الصليبيين

بقلم الاب لامنس اليسوعي

٣ (تتمة)

كيف كان يقضي الصليبيون ايام السلم والطمأنينة في بيروتهم الجميلة، تحت سماء فنيقية اللطيفة؟ اذ ان حياتهم لم تكن كلها منقسمة بين ثقل السلاح ووزن الدنانير.

كانت المراكب التجارية تستفيد من ايام الخريف الاخيرة فتشرع اشرعتها للهواء الشرقي، او هواء البرّ، فتغتنم الفرصة لتعود مسرعةً الى مرافئ الغرب. لان مرفأ بيروت كان اصغر واقلّ معدات من ان يقوم بوقاية الخلايا الكبيرة ابان الشتاء. اما الامراء والاعيان فكانوا ينصرفون الى الملاهي، وقد خففت الامطار الاولى وطأة الحرّ، فبدأ فصل اللذة والسرور.

ولم يكن لبنان حينذاك تعرّى من ردائه الاخضر. من الحق ان غاباته لم تكن على كثافتها المذكورة في زمن تلّ العمارنة في القرن الخامس عشر قبل المسيح، اذ كانت تمنع حتى مرور الاشعة الشمسية؛ ولكنها كانت وافرة واسعة المساحة. واننا نعتقد ان تلك الاحراج الارزية اللاجئة اليوم في اعالي الباروك كانت تنحدر حتى مقاطعات الغرب الاعلى، فتحيط بالاقطاعات اللبنانية المذكورة اسماؤها في فرامانات آل إيبلن الى امراء الغرب[1]. كما ان غابة الصنوبر كانت تنبسط على ابواب بيروت حتى مرتفعات الجبل، على قول الادريسي وغليوم الصوري. وقد بيّنتُ سابقاً كيف عرف الافرنج ان يستغلّوا هذه الثروة الشجرية، حتى جاء بعدهم المماليك والاتراك فاهملوها وعملوا على ملاشاتها[2].

١) راجع بحثنا المعنوَن *Topographie franque du Liban*, dans les *Mélanges* I, 250

٢) اطلب كتابنا *La Syrie*, II, 7

وكان يعيش في هذه الغابات كثير من الحيوانات المتنوّعة كالدببة، والخنازير البرّية، والضباع، والهررة البرّية، والذئاب، وقد يكون فيها حمار الوحش، وحتى الاسد، ان صدقنا صالح بن يحيى[١]. واننا نرى في مذكّرات الامير السوري أسامة بن منقذ عدّة اشارات الى صيد الاسد[٢]. على أننا نعتقد ان هذا الامير يفخر بانتصاره على اسود كثيرة لم يرَها حقيقةً، فيسرد عدداً من الحوادث المضحكة[٣]. ولعلّه قام بذلك ليُنسي الناس ما كانوا يتناقلونه من هجائه لجبنه وخوفه، اذ كان حاكم بيروت، على عهد صلاح الدين، فهرب مع اسرته ورجاله، قبل ان يصل اليها الفرنجة. ولعلّ الاسود التي صادفها كانت خاصةً من رجال الفرنجة! فهو لا يتهاود في شتمهم، ولكنه لا ينكر عليهم صفة واحدة، على الاقل، وهي الشجاعة.

على ان ما يرويه أسامة من هذه الاخبار يدلنا على طريقة تنظيم الصيد والقنص في عصر الصليبيين. فكانوا، اذا خرجوا الى هذه الملاهي، استصحبوا اصحاب البزاة، ورجال الشباك، ورماة النشاب، وحملة الحراب والقوس. فينظرون نوع الطرائد ويطلقون عليها تارة البزاة والصقور، وطوراً كلاب الصيد، واحياناً الفهود المدرّبة[٤].

وقد كانت رغبة امراء الصليبيين في الصيد تعادل رغبتهم في اقتناء الخيول المطهّمة حتى انهم كانوا يمثّلون دائماً فرساناً بخيلهم واسلحتهم في اختام فرماناتهم[٥]. وكان الصيد بواسطة البازي من ملاهي السراة والامراء. وقد ذكر صالح البزاة بين الهدايا القيّمة التي كان يرسلها امراء بيروت الى عمّالهم من امراء الغرب[٦].

---

١) صالح بن يحيى: تاريخ بيروت المذكور، ص ١١٣ – واطلب ابن بطوطة: رحلته ١: ١٨٥

٢) أسامة بن منقذ (طبعة Derenbourg) ص ٥٦، ٥٧

٣) خصوصاً في الصفحات ٧١، ٨٠ ...

٤) أسامة (طبعة Derenbourg) ص ٩٢، ١٤٦، ١٥٦

٥) صالح: الكتاب المذكور، ص ١١٣ – واطلب Rey, *Colonies*, 28

٦) صالح: ص ٨٧

على انني اجهل هل استعملوا الفهد المدرّب في صيدهم . بيد ان أسامة يذكر ان احد فرسان الفرنجة كان قد درّب نمرًا وروّضه حتى كان يتبعه كالكلب .

وهكذا كان يسير امراء بيروت مع عمّالهم اللبنانيين الامراء الى رحلات عديدة طويلة في سبيل الصيد والقنص . وكان امير بيروت ، في احيان اخرى ، يدعو امراء الجبل الى الحفلات في جنائنه وبساتينه ، ولاسيما عندما كان يزوّج احد اولاده . وهي دعوات رسمية اكثر منها عن اخلاص وسلامة طوية ، كما يظهر من بعض المحاولات التي قام بها الامراء احيانًا في سبيل خيانة ولئيم ، ومن اقتصاص هذا منهم بشدّة وصرامة .

كان امراء الغرب يعتقدون انهم يجدون في الحيلة والمراوغة حلًّا لموقفهم الدقيق . كانوا واقعين بين سادة الاسلام السنيّ وامراء الفرنجة ، وهم لا يحبون الاولين ولا الآخرين ، انما يهتهم امرٌ واحد ، وهو العمل على ضمانة استقلالهم الداخلي . وكيف يكون ذلك الا بان يرضوا سادتهم وجيرانهم من الفرنجة ، دون ان يغيظوا المسلمين الذين يكنهم ، بين ليلة وضحاها ، ان ينتصروا على الفرنجة ويحلّوا محلّهم . فعلى امراء الغرب اذًا ان يظلّوا على علاقات حسنة مع دمشق والقاهرة ، وان يقبلوا من امير بيروت ، لا الدعوات الى الصيد والاعياد فحسب ، بل الهدايا ، والاقطاعات . بل انهم يطلبون الاقطاعات من امير سايبت او صيدا ، ايضًا[1] . فيكرنون عمّال الفرنجة ، دون ان يحنقوا المسلمين . هذه السياسة المزدوجة « اللاعبة على الحبلين » ، كما يقال ، قادتهم احيانًا الى التضحية بواجباتهم تجاه سادتهم الفرنجة بل الى خيانة هؤلاء . فلم يمتنعوا قطّ عن مراسلة امراء دمشق سرًّا ، فاطلاعهم على حركات الفرنجة وحالة عساكرهم . حتى لقد يمكننا نعت تلك المراسلات بالجاسوسية المنظمة . على ان امراء الفرنجة من جهتهم كانوا قد نظّموا مصلحة اخرى تطلعهم على تجسّس امراء الغرب انفسهم . وقد جروا طويلًا على هذه الحالة حتى اذا تأكدوا سوء نية عمّالهم المذكورين

١) صالح : ص ٨٣

عزموا على البطش بهم بطريقة حاسمة تحدث دويًا وتأثيرًا في البلاد . وذلك ان امراء الغرب انشأوا حصنًا في سرحمور قرب الشويفات . فكان عملهم خطرًا على امارة بيروت في زمن كان فيه الصليبيون يراقمون بشدّة السلطان نور الدين ، فحفظوها لهم .

وكان من الصليبيين من يؤلم اسامة عن تجردهم بتبديهم في الشرق ، حتى انهم « تبلدوا »[1] ، فاتخذوا عادات الشرقيين وعاشوا على اتفاق مع جيرانهم المسلمين ، وكان منهم امراء بيروت . على ان هؤلاء لم يمكنهم غض الطرف عن مراوغة عمالهم امراء الغرب . فعزموا على اتقاء الحيلة بالحيلة . ولم يكن من شكٍّ في الخيانة ، وهي تستحق الموت في الشريعة الاقطاعية النافذة في حكومات سورية اللاتينية . ويجب ان لا نسهو عن امر مهم . وهو ان امراء الغرب اللبنانيين بقبولهم اقطاعات الصليبيين اصبحوا عمالهم ورجالهم واشهدوا الله على امانتهم لهم . فهم ان خانوا لزمهم العقاب ، والعقاب الشديد في نظر امراء بيروت . على ان الصعوبة كانت في استدراج امراء الغرب واخراجهم من ملجأهم الحصين ، كي يتمكن الصليبيون من هدمه في غيابهم . فضلًا عن انه كان من متطلبات الاحوال ان يكون العقاب شديدًا سريعًا يؤثر في سكان الجبل ومجاوريهم . فتخيل امراء بيروت طريقةً موافقةً أثرت دون شك في الشرقيين ، اعرف الناس بتقدير القوّة الرشيدة .

ومن حسن الاتفاق ان امير بيروت كان يهمّ بتزويج احد ابنائه . فدعا جميع الامراء المجاورين كآل لمبرياك (Lembriac) سادة جبلة (جبيل) ، وسادة سايت (صيدا) وذوي اقطاعاتهم ، ولم يكن من اللائق ان ينسى امراء الغرب . ولا يخفى ان اعراس الصليبيين كانت على غاية من الابهة والفخامة ، لا نعرف ذلك من وصف صالح بن يحيى ، فانه تجنب ، وسنرى لماذا ، ان يفيض في تفاصيل هذا العرس . على اننا نجد في رحلة ابن جبير ، المعاصر لهذه الاحداث ، وصفاً لعرس افرنجي حضره في صور ، وقد لفت نظره خاصة مشهد

---

1) اسامة : ص ١٠٣ ، في اسفلها

العروسة البارزة « في ابهى زيّ وافخر لباس تسحب اذيال الحرير المذهّب سحباً على الهيئة المعهودة من لباسهم وعلى رأسها عصابة ذهب قد حُفّت بشبكة ذهب منسوجة وعلى لبّتها مثل ذلك منتظم وهي رافلة في حليها وحُللها تمشي فترًا في فتر مشيَ الحمامة ، او سير الغمامة ... والمسلمون وسائر النصارى من النظّار قد عادوا في طريقهم سماطين يتطلعون فيهم ...» وزاد الكاتب: وهم « لا ينكرون عليهم ذلك » ... اما هو فقد استعاذ بالله « من فتنة المناظر»[1]

ولم تكن عروسة صور، على ما يظهر، الا ابنة احد السراة ، او اغنياء التجار . فكيف بعرس يقيمه بلاط امير بادوت ؟

وقد اسرع الامراء اللبنانيون لتلبية دعوة متبوعهم . وكان لديهم السلاح الفاخر ، والخيول المطهمة . ولم يكونوا ليتراجعوا عن التفاخر بها امام سادة بيروت وسكانها ، فيتنافسون واولئك الفرسان لابسي الخُوذ وحاملي الريش ، الذين يدعوهم صالح بن يحيى ، بشيء من التفخيم ، « ملوك الفرنج » . وهاكم ما يقوله في تفصيل ما آلت اليه هذه الحفلة :

« فلما كان وقت العرس نزل الثلاثة (اي الامراء اولاد كرامة بن بُحتر) الى بيروت ، فانزلهم صاحبها في بستان ظاهر البلد ، واعتذر اليهم لايوانهم خارج البلد لكثرة ما اجتمع فيه من طوائف الفرنج لوليمة العرس، وزاد في اكرامهم . ولما دخل الليل سألهم الحضور الى مجلس خاصّ قد هُيئ لهم ولملوك الفرنج . فدخل الثلاثة الى القلعة ومعهم نفرٌ قليل . فكان آخر العهد بهم . وركب صاحب بيروت بمن عنده من جموع الفرنج في صبيحة تلك الليلة ، وطلعوا الى الحصن ، وكان خالياً من الرجال . فهرب من كان به ... فنهبت الفرنج الحصنَ وهدموه والقوا حجارته في الوادي ولم يبقوا له اثرًا واحرقوا القرى واسروا من تخلّف عن الهرب .»[2]

ولا حاجة الى القول ان مأساة هذا العرس كان لها الاثر البعيد في تاريخ

---

١) ابن جبير: الرحلة ٣٠٥-٣٠٦

٢) صالح بن يحيى : ص ٧٤-٧٥

امراء الغرب، فنزعت من فكر خلفائهم كل رغبة في بناء الحصون والمعاقل. على ان الصليبيين لم يكونوا ثقيلي الوطأة في حكمهم، اذ ان ابن جبير لا يتمالك ان يستعيذ بالله اذ يرى مسلمي سورية يرحلون الى مناطق الفرنجة ليخلصوا من ظلم امرائهم المسلمين.

وقد كان لامراء بيروت وسكانها اعياد واحتفالات دورية لا تتخضب بالدماء كالحفلة السابقة، يذكر منها صالح بن يحيى عيداً كان يحتفل به النصارى والمسلمون على السواء، فيخرجون الى نهر بيروت، ويدعونه «عيد النهر». ويزيد الكاتب انه «من البدع»[1]. اما موقع ذلك العيد فكان في الثالث والعشرين من شهر نيسان، وهو الموافق لعيد القديس جرجس. ولا يخفى ان قرب جسر بيروت يقع معبد اسلامي معروف بالخضر، وهو في الاصل كنيسة قديمة على اسم القديس جرجس. ونحن نعرف ان بيروت من المدن التي اختارتها الاسطورة موقعاً لعراك القديس والتنين. وقد راقت هذه الحادثة المؤرخ المذكور فلم يتراجع عن ذكرها بالتفصيل. واثرت كذلك في تسمية الخليج الصغير الواقع قرب النهر فدعي «خليج مار جرجس». ويقول صالح: «والنصارى تصور هذه الكائنة في سائر كنائس بلادهم قل ما يخلو منها كنيسة.»[1] ومن السهل ان نتحقق كم كان شعبياً ذلك العيد بتهافت المسلمين على الاحتفال به مع النصارى، وعلى السرور والاغتباط بعودة الربيع. ولا غرابة في ان يكون امراء الصليبيين كانوا يشتركون في ذلك ايضاً، وقد اتخذوا القديس جرجس صاحب العيد، شفيعاً لهم. وقد يكون من جملة ملاهيهم القيام بالاعيب الفروسية[2] من سباق ولعب جريد، وهذا النوع كان مرغوباً فيه كل الرغبة في حلقات الصليبيين بشهادة كثير من مؤرخي ذلك العصر.

يظهر من كل ما تقدم ان فرنجة بيروت لم يكونوا من النساك ولا الزهاد. كانوا يحبون الصيد والالاعيب الحربية. وكانت جميع فرماناتهم

---

١) صالح بن يحيى : ص١٦

٢) اسامة بن منقذ : ١ : ١٠٢

التجارية تذكر دائماً اعطاء حمّامات الى التجار من افراد الطوارئ. ولربّ من ينسبهم ، في طمأنينتهم تحت سماء فنيقية ، الى نسيان بيت المقدس وتخليص القبر المقدّس. على انه نسيان ظاهري فقط ، ولقد كان بامكانهم ان يردّوا على ذلك بان يشرحوا دعاء الصليبيين الجميل : « الله يشاء ذلك ! » على طريقة الاخ تروفيم في رواية « الاميرة البعيدة » لروستان، اذ يقول [1] :

ان ما يشاء الله ليس بذاك التخليص فحسب.
-اعتقدوا انه لو اهتمّ فقط—
بطرد جماعة الكفرة من القبر ،
لكان ملاك واحد قام بذلك بضربة واحدة من جناحيه ،
ولكن لا . ان ما شاء الله هو ان ينزع
جميع اولئك العائشين في البطالة ، اولئك المتكبرين ، الكسالى ،
ذوي الانانية الفائقة ، والتهاون الاغبر ،
ليرميهم وسط الحراب يمزجون ، ويفخرون ،
ثملين بخمرة التضحية ، راغبين في الموت بعيداً ،
في ذاك التجرد الذي كانوا جميعاً بحاجة اليه .

***

لقد حاولت ، في ما تقدم ، ايجاد موقع القلعة الفرنجية الضخمة . فقلت ان سورها المزدوج ، المردف بالخندق ، كان يرتقي المرتفع فيمتد على القمة الصخرية المشرفة على المرفأ . ومن هـذا المكان كان يُلقى النظر على اجمل مشاهـد المدينة . وعندما وصلت الامارة الى جان ديبلَن ، عمل على ترميم الصرح القديم، وتوسيع نطاقه . فحوّله الى قصر من اجمل القصور لا في سوريـة فحسب ، بل « في العالم » اجمع ، كما تقول «ملاحم القبرصيين» بشيء من السذاجة . وكان من اعجب ما في هذا القصر الملكي زخرف القاعـة الكبرى قاعة الاعيـاد

(1 E. Rostand, *la Princesse lointaine* I, sc. 2.

والاحتفالات . وان لدينا وصفاً لهذه القاعة خطّه ويلبراند دولدنبورغ (Willbrand d'Oldenbourg) اذ مرّ في مدينتنا سنة ١٢١٢ ، قال :

« تشرف هذه القاعة من جهة على البحر ، ومن الاخرى على الجنائن المحيطة بالمدينة . وقد رصفت ارضها بالفسيفساء ممثلة ماء قد هبّ عليه نسيمٌ خفيف فتجعّد، حتى ان الماشي في ارضها ليدهش اذ لا يرى اثر قدميه على الرمل المصوّر في الآخر . اما الجدران فمغطاة ببلاط رخامي غاية في الجمال . واما السقف فصوّر فيه شبه السماء . ومعلومٌ ان السوريين والعرب والروم من النوابغ في فن الزخرف . وفي الوسط بركة من الرخام المتعدّد الالوان بارزة في غاية الحسن ، وعجيب الملاسة . وفي منتصف البركة تنين يظهر مفترساً حيوانات مصوّرة بالفسيفساء ، وينفخ في الهواء عموداً من الماء الصافي فيفيض في القاعة رطوبة لذيذة ، بفضل ما فيها ايضاً من النوافذ العالية المتعدّدة . »

ولا يزال لدينا حتى اليوم مثلٌ على اعمال سادة بيروت الصليبيين في هندسة البناء ، وهو كاتدرائية القديس يوحنا المعمدان التي كثيراً ما اقام فيها الطقسيات اساقفة المدينة وكهنتها من اللاتين . وقد تحوّلت الكاتدرائية الى جامع ، وهي تدعى اليوم « المسجد العمري » ، ولا اعلم لماذا ؟ ولم يكن للصليبيين المكان الواسع ، ضمن ذاك السور الضيق ، لاقامة كاتدرائية فسيحة فاكتفوا بهذه . وقد درسها الاثري العالم السيد انلار ، وخصّ بها بحثاً دعاه « كاتدرائية القديس يوحنا البيروتية » وفيه يقول : « انها مثل جميل لكاتدرائية المستعمرات الصغيرة ، قليلة الاكلاف ، رشيقة ، متينة ، موافقة . تصميمها بسيط يحتوي على سوق متوسط يحيط به سوقان على الجانبين اقل منه ارتفاعاً ، ويتّصل الثلاثة بثلاث حنايا . » وان من شاء مزيد اطّلاع على هذا الاثر الجميل فعليه بزيارة الكاتدرائية نفسها .

اما ماذا حدث بهذه الكاتدرائية بعد خروج الصليبيين من بيروت ، وكيف تحوّلت الى جامع ، فمعلومات يطلعنا عليها صالح بن يحيى ، قال :

« لمّا قدّر الله بنزعها (بيروت) من يد الفرنج استقرّت كنيستهم جامعاً وكانت تُعرف عندهم بكنيسة مار يُحنّا . وكان بها صور فطلاها

المسلمون بالطين ، وبقي الطين الى ايام الجد[1] فبيّضه وازال عنه آثار تلك الصور .»[2]

وهناك كنيسة اخرى للفرنجة كان حظّها اسوأ من حظّ هذه الكنيسة . وكانت تقع « شرقي البلدة داخل السور ، على قول صالح نفسه ، وتعرف بكنيسة إفرنسيك . ويزعم الفرنج ان افرنسيسك هذا قديس ظهر متأخرًا من مدة منتي سنة مضت الى هذا التاريخ ، وكانت هذه الكنيسة كبيرة فجعلها السلف اسطبلًا . . . وهي في وقتنا هذا[3] خراب بيعت لبني الحمراء فنقلوا حجارتها الى مدرستهم .»[4]

هذا وانا لا نعرف شيئًا عن مصير كنيسة القديس جرجس خاصة الجنوية ، ولا عن مصير كنيسة القديس مرقس خاصة البنادقة . ثم ان ميشليه (Michelet) يذكر في جزيرة ، في بيروت ، ديرًا لرهبان البريمونتري (Prémontrés)[5] . ونحن نذكر المطالع ان نتوز ، ناظم ملحمة ديونيزوس ، يدعو بيروت « مدينة الجزر الجميلة » . اما كيف اختفت تلك الجزر واي اعصار ابتلعها فما لا نعرفه . ولا نعرف كذلك اثرًا آخر لاديرة الفرنجة في امارة بيروت . فان التامبلية والاسبتالية لم يبنوا فيها واحدة من تلك القلاع المحصّنة التي عملت كثيرًا على الدفاع عن المملكة اللاتينية على ان الاسبتالية ، وهم فرسان رودس ومالطة بعد ذلك ، كان لهم في لبنان عدد من القرى والمزارع اقطعهم اياها سادة بيروت ، فكانوا يستغلّونها . وان الشهادات والفرمانات الحافظة اسماء هذه الاماكن لمن اثمن الاسانيد لتاريخ لبنان وجغرافيته في القرون الوسطى[6] . وقد كان المزار المهمّ الوحيد في جميع فنيقية الفرنجية معبد سيدة طرطوس وهو من

١) اي جَدّ المؤلف

٢) صالح بن يحيى : ص ٥٨–٥٩

٣) اي في اواسط القرن الخامس عشر

٤) صالح بن يحيى : ص ١٤٦

٥) *Procès des Templiers* I, 647. Cité par Rohricht, *ZDPV*, X. 310.

٦) اطلب بحثنا *Topographie franque du Liban*, dans *Mélanges*.

افخم الآثار في هندسة الصليبيين.

***

بعد ان سقطت بيروت من يد امرائها الصليبيين، لجأ هؤلاء الى جزيرة قبرص. على انهم لم يفقدوا الامل باسترجاع امارتهم. فابحروا على مراكب اللوزنيانيين، واتوا، منذ السنة ١٢٩٦، يرقبون المراكز، ويدورون امام الشاطئ الفنيقي [1]. فتحققوا ما انزل المماليك باراضيهم من الخراب والدمار. وكان المنتصرون، خوفاً من رجوع الفرنجة، قد اسرعوا في هدم اسوار المدينة، ودك ابراج القلعة الضخمة، وتحويل الكنائس الصليبية. حتى لم تبقَ بيروت الا مجموعة من الخرائب يقيم في وسطها، حول الاسواق، وبالقرب من المرفأ الذي هجره تجار جنوى والبندقية الاغنياء، بضع مئات من السكان. وكانوا يهربون لاجئين الى الجبل كلما ظهر شراع افرنجي في الافق البعيد [2]. اما «امارة بيروت» فلم تبقَ سوى عنوان شرف، ولقب مجد، له مركزه في سلسلة كبار السراة من مملكة لوزينيان.

١) صالح بن يحيى، ص : ١١٠، ١٩٠، ١٩١
٢) اطلب تاريخنا لسورية ٢ : ٢ وما بعدها.



حول تحديد الشعر

بقلم الفس اسطفان فرحات اللبناني

ليسمح لي الشعراء والادباء اللغويون ، بالسؤال عما اذا كان تحديد العروضيين الشعر كافياً لان يتّبع في صناعة الشعر ؛ وليأذنوا لي في رمي هذه الحصاة في بحر هـذا الموضوع ، واني لراض بما يكون من مفعولها ، اصابت تمام الاصابة او بعضها ، ام اخطأت الخطأ كله او بعضه.

لقـد عرف العروضيون الشعر بقولهم : « انـه الكلام الموزون المقفى » ووقفوا عند هذا الحد ، فخُيّل الى الذهن ، انهم راضون بتمييزه عن النثر بهذا التعريف وكفى . على حين ان هذا التعريف لم يكن الا فارقاً لفظياً بينهما ، وان الشعر كان ولم يزل واسطة لاظهار الاحساس العقلي والتاثير النفسي. والحال ان هذا يتطلّب من الكلام ان يكون مفرغاً بقالبٍ فني من البـديع اللفظي والمعنوي لما فيها من الكفاءة على اظهار ذلك الاحساس والتأثير . واذن فذلك التحديد ، الذي ادلى به العروضيون الينا ، لم يفِ بالمقصود ، لانه بات قاصراً عن ادراك كنه الشعر الحقيقي ، واظهار اغراضه الخاصة به ، اذ ليس كل كلام موزون مقفى يدعى شعراً . لذلك كان لا بدَّ للشعر من تحديد كامل يكون اضمن لماهيته واظهر لاسلوبه ، وما الاسلوب الكتابي بالاجمال ، الا عبارة عن منوال تنسج عليه التراكيب ، وقالبٍ تفرغ فيه الالفاظ ، فيجي. الكلام مطابقاً لواقع الحال .

واذن فالمعرّف التعريف الاصدق ، او الاقرب الى الصدق للشعر هو هذا: انه الكلام البليغ ، الخارج من النفس المتأثرة به ، المفرغ بقالب الاستعارة ، المربوط بالوزن والقافية .

قلنا : هو الكلام البليغ ، اخراجاً للكلام المجرّد من البلاغة ، فانه لا يكاد يميز ماهية الشعر عن ماهية النثر التي هي سهولة المبنى وصراحة المعنى ، والنثر — كما اظن — لا يحسن ان يخرج عن ماهيته هذه الطبيعية ، لانها افضل طريقة موضوعة لاظهار ما يدور في خلد الانسان من المعاني للمفاهمة بين الجميع. لذلك وجب ان يكون النثر جلياً واضحاً ، بحيث يسهل الوصول الى معناه فوراً حال مطالعته دون ما ادنى اجهاد فكر.

اما الشعر فلا بأس ان يختص بفئة من الناس ترفعت في علومها ومداركها عن الفئة الاخرى منهم التي لم يتسنّ لها ذلك ، لان الشعر كالفنّ ، فالفنان اذا لم يكن لنا يتحفنا به مغزى او كان له كناية صادقة عن حقيقة من الحقائق ، لا يكون لفنه شيء من ارتفاع الشأن. وذلك لان غاية الفن هي ان تحيل الينا النفوس من وراء الاجساد. كذلك يجب ان يرينا الشاعر الحقائق من وراء الالفاظ ، لان غاية الشعر هي ان ترمي الى ما وراء الالفاظ ، الى المعاني الجميلة ، موارية الاغراض النبيلة تحت الصور الخيالية . اذ في الشعر حقائق ادبية خالدة خلوداً يمتنع على الحقائق الخارجية التي يدركها الزوال ويفنيها الاضمحلال. فأي شعر كانت هذه صفته فلا غرو ان يستولي بمعانيه على قوى النفوس ، ويأخذ بمجامع القلوب ، بل ويختص — كما تقدم — بالفئة المتأدبة بالادب الكامل ، اذ لكل قوم ادب خاص به دون سواه ، والادب الذي لا يوضح عن البيئة التي يقوم فيها فليس هو بادب.

الا ان ذلك لا يعني ان يكون النثر خالياً من البلاغة ، كلّا ، سيما وان للبلاغة مراتب شتى على حد قول القزويني : «ان للبلاغة طرفين ، اعلى ، وهو حد الاعجاز ، او ما يقرب منه ، واسفل ، وهو ما اذا عدل عنه الى ما هو دونه ، التحق عند البلغاء ، باصوات الحيوانات . وبينهما مراتب شتى ووجوه اخر تورث الكلام حسناً» ؛ او ان يكون غير موشى باثواب البديع اللفظي ، فكم

ان الشعر هو من تراث العرب الادبي ، كذلك النثر ايضاً ، والشاهد واضح. فكم ينفر الذوق السليم من مطالعة مقال وحشيّ الالفاظ ، جافي التعابير ، مبتذل المعاني . الا ان ذلك النفور منه يكون الى حدٍّ ما ، ثم ينقضي ، لانه يُعذر عليه ، نظراً لماهية النثر كما اشرنا اليه . ولكنه لا يعذر قط على عدم النفور الشديد من الشعر اذا كان فيه جفاء وابتذال ، بل وعلى السماح فيه ، ولو كان ببعض ظروف . ذلك لان الشعر لم يكن قط لغرض تنفر منه النفس ، او لمعنى ينبذه الذوق السليم .

هذا ، وان الاغراض الشعرية تكاد تنحصر في نقطة من الادب ، وهي سموّ المعنى ، والمبالغة في اظهاره ، وتكييفه بكيفية تجعل النفس مأخوذة به متأثرة بعوامله التي يرمي اليها ، سواء أكان من فرح او ألم ، انس او وحشة ، حب او بغض ، رجاء او يأس ، الى غير ذلك من العوامل التي من شأنها ان تؤثر في النفس ، وتحملها الى ما فوق المادة ، فتسبح في عالم الخيال الشعري .

قلنا : الخارج من النفس المتأثرة به . وبالاحرى المفطورة عليه ، اذ لا يكفي في النفس ملكة الكلام على وجه الاجمال ، بل تحتاج الى ميل خاص الى رعاية اساوب الشعر . لان كل كلام مصدره النفس ، ولكنّ فرقاً عظيماً بين ان تكون تلك النفس متحركة الى اظهار ذلك الكلام ، عن عاطفة فطرية فيها ، وكان باعثها الى ذلك كل من حسن الافتنان في التعبير والمعنى المبتكر ، وانتقاء الوزن والقافية ، لما في ذلك من الموافقة لمطابقة واقع الحال والمقال ، بحيث يشعر القارئ انه صورة مصغرة لتلك النفس ، يقرأ في خلاله آلامها وافراحها ، ويفهم من اساوبه معنويتها الفطرية التي اكتسبت فيها الدراسة ، او التربية ، او المحيط ، او الظروف ، او الاحوال دينية كانت ام عالمية ، وبين ان تكون تلك النفس مضطرة لاظهار ذلك الكلام ، من بعض العوامل الطارئة عليها عرضاً ، حال كونها خالية من كل تأثير يجعل الشعر حقيقياً ، فيشعر به القارئ كانه مسحوب من بين حناياها سحباً ، لذلك جاء خالياً من كل صبغة شعرية . وبعبارة اوضح ان الشاعر الذي لا يتأثر باحد هاتيك العوامل الطبيعية التي من شأنها ان تلعج النفس فتلهبها ، فيتزى فيها من العواطف ما يجبر الغير

على الاحساس بها ، لا يمكن ان يكون شاعرًا . وهاك مثالًا ، لا اخالك عند مطالعته ، الا مسلماً بهذا الكلام ، وهو من قول الاخطل ، وابن ذي الكلاع ، حين بلغهما ان الخليفة عبد الملك قرّب منه زفر بن الحرث ، وكان هذا رئيس القيسية وطالما كان قد اعمل سيفه بالتغلبيين لاطاعتهم عبد الملك . ثم قضت الظروف عليه بالانقياد لبني امية بعد ان كان عصاهم ، فاضطر امير المؤمنين عندئذٍ ان يقربه منه لاستمالة قومه . وكان ان دخل ابن ذي الكلاع على الامير ، فرأى ابن الحرث هذا جالساً معه على السرير ، فبكى ، فسأله الامير عما ابكاه. فقال: «كيف لا ابكي ، وسيف هذا يقطر من دماء قومي في اطاعتهم لك وها هو معك على السرير، وانا على الحضيض!» فقال الامير: «اني لم اجلسه معي لكونه اكرم عليّ منك ، كلا ، ولكنّ لسانه لساني وحديثه يعجبني» فاتصل ذلك بالاخطل فقال: «والله لاقومنّ من ذلك مقاماً لم يقمه ابن ذي الكلاع» . ثم دخل على امير المؤمنين ، وبعد التفطّن به قال :

وكأس مثل عين الديك صرفٍ   تنسي الشاربين لها العقولا
اذا شرب الفتى منها ثلاثاً   بغير الماء ، حاول ان يطولا
مشى قرشيّةً لا شك فيها   وارخى من مآزره فضولا

فقال الامير: «ما اخرج هذه منك ، يا ابا مالك ، الا خطة في رأسك» فقال: «اجل يا امير المؤمنين ، حين يجلس عدوّ الله معك على السرير ، وهو القائل :

« فقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات الصدور كما هيا »

فغضب الخليفة ، ورفس ابن الحرث برجله فرمى به من عن السرير ، فذهب هذا يقول: «والله ما كنت لاوقن بالموت قط ، الا حين قال الاخطل ما قال.»

فهلّا رأيت ان هذا الشاعر اندفع بعامل فطري اتته فيه الاحوال السياسية ، الى ابراز عاطفة في نفسه اثّرت بها الى حدّ انها اضطرت امير المؤمنين ان يتأثر بها ، ويرفس ابن الحرث ، الذي لم يكن خطاب ابن ذي الكلاع النثري ، ليؤثر به ، فيطرد زفر دون ان يلحق به اذى ؟

قلنا : المفرغ بقالب الاستعارة : اخراجاً له من الكلام الذي لا يحتاج الى اعمال فكرة لفهمه ، بل يشعر القارئ كأنه يقرأ من شيء محروس سطرت روايته تسطيراً واضحاً واقعياً ، دون ان يعمد الى اي استعمال مجازي اواستعارة فيه ، يجتل ذلك الكلام ، مثلاً كأن تقول : «رأيت ثعلباً» ، بدلاً من ان تقول : رأيت محتالاً ، وانت تقصد ثعلباً ، على شرط انه لا بدَّ للكلام المجازي من قرينة تنفي عنه ارادة المعنى الاصلي لمنع اللبس في اداء المعنى المقصود . فالكلام في التعبيرين وافٍ بالمقصود ، مشيرٌ الى ان المرئيَّ هو ثعلب حقيقي ، الا ان التعبير في الاول هو اسلوب نثري ، خلافاً للتعبير الثاني فانه اسلوب شعري ؛ واذاً فوجه الجمال في النثر غيره في الشعر ، فالكلام المرسل هو ما وضح معناه ، ولم يحتج الى اعمال الفكر لفهمه . اما الشعر الجميل فهو ما احوج القارئ الى التروي والتدقيق في اظهار حقيقته ، لان الكلام الواضح المعنى ، ولاسيما الخالي من كل استعارة ، او كان معناه مجازياً مبتذلاً ، فانه لا يؤثر في النفس كالكلام الذي تحتاج الى الغوص على معانيه ، حتى اذا ما استخرجتها - كالدر من العباب ، وجدت لذةً فيها مـــا كانت لتجدها في المعنى الذي داهمها عفواً من دون ما ادنى تروٍ واجهاد فكر .

قلنا : المربوط بالوزن والقافية ، اخراجاً له من الكلام المنثور ، الغيرالمربوط بشيء من ذلك . على حين ان هذا الشرط ، وان كان من اركان الشعر اليوم ، فلم يكنه في الماضي ، واذن فليس ضرورياً لان يكون داخلاً في مـــاهيته ، واصل وضعه . والشاهد ظاهر لنا على هذا من مطالعة الشعر القديم الوارد في كتب الديانات كالتوراة ، والنبوآت ، والقرآن . فان الشعر لم يكن على شيء من هذا ، بل كان يُعرف من سموّ معانيه ، ونبـاهة اغراضـه ، وحسن اسلوبه ، وتسلطه على الاحساس والشعور النفسي اللـذين كانا ولم يزالا من قوام الشعر ابن العاطفة ، والعاطفة بنت البيئة والتاريخ ، وغير ذلك من مختلف العناصر التي تغذّي الشعور والاحساس باحسن الاغذية الادبية .

اما القافية ، فيظهر انها وان كانت من موضوعات العرب الاقـدمين في الشعر ، فهي من التحسينات التي ادخلها عليه المتأخرون لزيادة جمـاله وحسن

انشائه ، وبالاحرى ليجيء كاملًا معنى ومبنى.

على ان من الصيغ النثرية ما يقارب الشعر في الانشاد جدَّ المقاربة، فالسجع المتقارب الفواصل يشبه الشعر بقافيته ووزنه ، وبقدر الاحسان في انشائه ، بقدر ذلك تتأثر به النفوس تأثرها بالشعر ، اذ لا يضر ان يكون النثر منحوًّا فيه نحو الشعر في البلاغة والتأنق في التراكيب ، واستخارة المعنى الجميل كما تقدم الكلام عنه . الا ان ذلك هو من اغراض الشعر واساليبه ولذلك كان اولى من النثر به . واني احيلك الى مطالعة فصل طريف دبجته براعة حضرة الاديب فؤاد البستاني ، استاذ الادب العربي في كلية القديس يوسف ، نشرته مجلة «المشرق» الغراء في عدد ايار سنة ١٩٣٢ أسماه «حول النثر الجاهلي» ، تناول فيه مغزوية الشعر الادبية ، التي نحن في صددها ، لما اضطره اليه داعي المقال للمقابلة بين النثر المسجع المتقارب الفواصل ، والشعر الموزون المقفى. وفي ذلك الفصل خير برهان ، على تحقيق هذا.



اعاجيب النقد الحديث

نظرة في «ادب» جرائدنا البيروتية

نقاد

لا تخلو جريدة بيروتية من «صفحة ادب» او «زاوية ادب» عوّدتها قرّاءها مرّة او مرّتين اوثلاث مرّات في الاسبوع، فقلنا: لقد اصلح الادب في جرائدنا ما افسدته السياسة. ولكن سرعان ما تحققنا انتصار السياسة على الادب، اذ ادخلت هذه فسادها فانقلبت النعمة المرتجاة منه، مصيبة دهماء على الادب الصحيح وانصاره. ومن مصائب الادب الجرنالي الحديث هذا الاسلوب النقدي الذي تطوّر على صفحات الجرائد ونما وازدهر في كتابين صغيرين: «انتم الشعراء»، و«اجل نحن الشعراء».

ولا ادري امصيبتنا «بانتم الشعراء»[1] ام «باجل نحن الشعراء»[2] هي اكبر؟ وذلك لانني لا ادري من يكون اوفر مسؤولية أهو مختط الطريق ام متبعه عليها.

لقد اسفنا قبل كل شيء للريحاني يهبط من مستوى «ملوك العرب» و«تاريخ نجد الحديث» الى مستوى «انتم الشعراء»، الى هذه الدركة من المغالطة والابتذال. ولقد كان من المحتمل التغاضي عن «انتم الشعراء» لولا ما احدثه من نتائج سيئة في الاسلوب النقدي في لبناننا هذا الصغير.

ما كاد هذا الكتيّب يصدر من عن الآلة الطابعة حتى تناولته ايدي المتشوّقين، وعلت من كل فجّ وصوب اصوات الاستحسان والاستهجان. لقد انشأ مناصرو الريحاني ومريدو افكاره مقالات كانها مقالات «انتم الشعراء» بروحها واسلوبها؛ واصدر معاكسوه ومقبحو آرائه مقالات ومؤلفات كانها «انتم

---

١) «أنتم الشعراء» بقلم امين الريحاني — ٩٢ ص. متوسطة صغيرة، مطبعة الكشّاف، بيروت ١٩٣٣

٢) «اجل نحن الشعراء» بقلم ا. ا. معوّض، طانيوس نعمه، سمير معوّض — ١٣٢ ص. بالحجم نفسه، مطبعة خليفه اخوان، بيروت ١٩٣٣

الشعراء» بعينه . وما كان وقت طويل الا رأينا هذا الكتاب الواحد الف كتاب وكتاب . فما الخبر؟ وما هذه الاعجوبة؟ . . . ذلك ان « انتم الشعراء » احدث اسلوباً ، في النقد ، جديداً او قل عاون على تكوين اسلوب نقد كان لم يزل غامضاً بعد .

أما صفات هذا الاسلوب الجديد فالسباب والشتائم ، والتهكم المستهجن ، والفكاهات المزعجة ، والتضليل . واما صفات اربابه فالتخمين ، والغرور ، والادعاء والاعلان .

قلنا ان السباب والشتائم هي من صفات هذا الاسلوب ، وان ترفعنا عن ذكر ما سفُل منها وانحط مراعاةً لحرمة القرّاء الكرام ، فلا يسعنا العبور دون ايراد مثل او اثنين للاستشهاد . وهي ، والحق يقال ، قليلة في كتاب الريحاني ، على كونها من الصنف الثاني عنده ، ولكنه ليس بريئاً منها كما يشهد عليه قوله[1] : « والمتنبي سيّد الكذّابين لانه لم يشب في سن العشرين وكان في الارض من المتكبرين . » وتريد شيئاً فشيئاً في ابناء مدرسته النقدية فتراها مع منتقدي « انتم الشعراء » على نحو هذا[2] : « اين كان فيلسوفنا صاحب الريحانيات عندما كان الاخطل الصغير يستنهض الهمم للذود عن حقوق الوطن . . . وماذا كان يعمل في الصحراء ، وفي وطن العم سام ذو الوجهين واللسانين »

ونحجم عن ذكر ما جاء في « صوت الاحرار » البيروتية فيما يخص الاب لويس شيخو اليسوعي حيث لم يراعِ الشاتم في الاب شيخو حرمة ما من حرمات الدين والعلم والكبر التي اتصف بها هذا الاديب الكاهن

اما التهكم المستهجن والفكاهات المزعجة فجميعها على مثال : « اجل ان الطبيعة نفسها لتبكي معهم — اي مع الشعراء — فهاك الحمام النوّاح . . . والخرفان الحزينة المعدّة للذبح وهي انصار الشعراء بالبكاء . »[3] وهذا : « واما انت يا فيلسوف الفريكه بالله عليك تقدّم الينا مسرعاً فان تجر الدموع اوشك ان يغرقنا في لجه العميقة »[4] .

١) انتم الشعراء : ص ٦٥ ٢) اجل نحن الشعراء : ص ٤٥

٣) انتم الشعراء : ص ٦٤ ٤) اجل نحن الشعراء : ص ١٠٦

هذا وان قلنا ان احدى صفات النقد الحديث التضليل فاياه نعني لا سواه. ان هذه الصفة مجسّمة في مؤلفات « الامام » الريحاني ولها عنده مجال عديدة فتارةً ترى تضليله اجتماعياً وذلك حين يقول : « اننا والحق يقال اكثر بكاء واشد انتحاباً من جميع الشعوب . . . انه لمرض يفوق انتشاراً كل امراضنا . . . بل هو الوباء الاخبث . فتراه يفتك بالسياسيين ورؤساء الدين كما يفتك بالادباء والتجار والفلاحين، هو وباء الدموع وباء النحيب والنواح .»[1] وتارةً ترى تضليله ادبياً كنحل رجالات الادب العظام ما ليس لهم مما يصلح لغاية الناقد، او كذكر كلامهم دون الاشارة الى مصدره ، او الاشارة الى ذلك المصدر بقول مبهم غامض يزيد في تضليله الاول تضليلاً جديداً .

وذلك حين يقول[2]: « قال سنت بوف ما معناه » — ويذكر هنا الريحاني حديثاً طويلاً لسنت بوف عن موسه — وفي الختام يشير الى المصدر قائلاً : « راجع مقالاً لسنت بوف في الفرد ده موسه »[3] او يقول :[4] « وقد قال النقادة الاكبر تان . . . وعندما ذكر المصدر قال : « في كتاب تاريخ الاداب الانكليزية » .

ولم يتفرّد الريحاني في التضليل هذا بل اتبعه عليه بعض افراد من مدرسة ليسوا بالقليلين . وقد بزّه في هذا المضار « عمر فروخ » وخاصة في تحامله على الاب شيخو[5] .

هذه هي بعض صفات النقد الحديث الذي ساعد في تكوينه مساعدة تذكر الريحاني في « انتم الشعراء » . ولا يسعني الاتيان على جميع ما فيه لان هذا الاسلوب لم يزل في طور تطوّر وانقلاب .

امّا صفات اربابه فاولاها التخمين والتقدير كما قلنا . اجل ان الناقد البيروتي الحالي مخمّن ، بل نبي ، قبل كل شيء ، ولكنه مخمّن على طريقة له حديثة ايضاً فهو لا يحتاج الى سابق علم ودراسة لاطلاق احكامه الادبية .

فما اسرعه قائلاً دون تردّد او تحفّظ : « لا اظنك تجد من الدموع في

١) انتم الشعراء : ص ٦ ٢) انتم الشعراء : ص ٦٩ السطر الثاني عشر
٣) انتم الشعراء : ص ٧٠ السطر الاخير ٤) انتم الشعراء : ص ٧١
٥) اطلب البشير العدد ٤٦٤٦، في ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣٣

شعر الامم الاوربية كلها مقدار نصف ما عندنا في الشعر العربي . ولا اظنّني في ما اقول مبالغاً »[1] .

لم يكلف الريحاني نفسه الم البحث والتنقيب عمّا في شعرنا من « الشعر الباكي » — كما يقول — وعمّا في شعر الاوربيين منه ، بل اطلق حكمه هذا على سبيل التخمين فجاء تخمينه مخالفاً للواقع ، ويا للاسف ! ومثل هذا التخمين كثير في « اجل نحن الشعراء » وغيره من المقالات الانتقادية الحديثة . ولا يخفى ان سبب ذلك حب الكسل والتضليل ، وكره الحقيقة العلمية والامانة الادبية ، وكل هذا لما يحط من قدر الاديب الناقد ويؤذيه بسمعته وشهرته .

لم يتفرد نقدتنا اليوم بالتخمين ، بل ضمّوا اليه الغرور والادّعاء والاعلان . وليس الغرور والادعاء باقلّ من التخمين عند هؤلاء النقدة . . . فالكل عندنا امام . . . والكل ثقة . . . والجميع لا يشقّ لهم غبار في مجالات القلم ، فمن اعلان عمر فروخ « تمزيق الاب شيخو وتركه لتمزيق غيره من الادباء » ، الى اقدام ابي شبكه على « وضع التوراة في الميزان » الى . . . الى . . . ترى الغرور و الادعاء متجليّين باجلى مظاهرهما .

وما الاعلان الا نتيجة الادعاء والغرور . . . انا . . . انا . . . فلكل ناقد حديث عندنا خطة يتلوها على رؤوس الملأ . وكل من نقدتنا مجدّد . . . محدث . . . وكلهم الهادم الباني . . . المصلح . وخير مظهر للتثبّت من حب الاعلان عند هؤلاء عناوين مقالاتهم . ونظرة واحدة الى « صفحات الادب » في جرائدنا تبيّن ان معظم نقّادنا من اصحاب « الاعلانات » ، ليس غير .

يجرّنا هذا الى الاستنتاج ، بكل أسف ، ان اكثرهم نسوا اساليب النقد الفني ، وآثروا عليها الشتائم والتسباب ، واخذوا في سباق ليس له مثيل في طبقة من الشعب تضنّ بسمعتها الادبية ان تبتذل . . فتعقّلوا يا معشر الادباء !

ا . ح .

---

[1] انتم الشعراء : ص ٦٢

جولة في المجلات

فيصل بين فرنسة وانكلترة

نشر الدكتور جورج سمنه في مجلة « مراسلات الشرق » الفرنسوية (*Correspondance d'Orient*, septembre 1933, p. 97-103) مقالاً شائقاً عن الملك فيصل وما اتصف به من تعقّل وحزم ، وما كان يجول في نفسه من مطامح وآمال . ولما كان الفقيد من رجالات الشرق في العصر الحاضر ، ولما كان الكاتب من مشهوري المطلعين على حوادث الشرق الادنى في زماننا ، وممن عرفوا الملك الراحل عن كثب ، رأينا من المفيد تعريب شيء من كلامه في سبيل الحقيقة التاريخية . قال بعد ان وصف مظهر الملك وصفاً دقيقاً (ص : ٩٨) :

كان يحكم على الاشياء ببرودة . فلا يجهل ان مساعدة اوربة امر لا بدّ منه لبلاد الشرق ، وان الانتداب كان لها من احسن الامور . لان هذه البلاد ، لو ارادت ان تضمن الامن على الحدود ، وتوطد النظام في الداخل وتستثمر مواردها الطبيعية ، لكانت مهمتها شاقة تتجاوز الحد ، ولهبطت موازناتها تحت ثقل الاعباء ، ولما وجدت من يمدّ لها يد المساعدة . ولكنّ فيصلاً ، وهو العالم بكل ذلك ، ادرك ايضاً ان فكرة كهذه غير شعبية ، وانه اذا تمسك به لا ينال رضى الشعب . فاخذ يعلن وطنية اكثر ملاءمةً للرأي العام ، لانه ما كان يرى ايّ خطر في مشايعة عاطفة قد تقضي عليها ان تظل زمناً طويلاً في دور الترقب ، فلا تصبح قابلة التحقيق الا في المستقبل البعيد . . .

ثم ينتقل الى موقف فيصل من الانكليز والفرنسويين فيقول (ص : ٩٩) :

وكثيرًا ما اعتقد الناس ان الملك فيصلًا انكليزي الميل. والحقيقة انه كان يحفظ الجميل لانكلترة على ما اتت في سبيله. فعاطفته هذه نفعية. ولقد مثله البعض خصماً لفرنسة، والحقّ انه ظهر كذلك احياناً. ومع هذا، فقد كان يودّ فرنسة ودًا لم يكن مفروضاً دائماً. وكم من مرة قال لي: «اننا نميل الى فرنسة. فهي بمزاجها اقرب الشعوب الى شعبنا. وهي تعرفنا من امد بعيد، وتاريخها مشتبك بتاريخنا. اننا واياها نتفق دائماً، بل نحن بحاجة اليها لتثقفنا. وهي غنية، فلا نخشى ان تغرقنا يوماً بان تفيض علينا فضل سكانها. واخيرًا فان مصالحنا، نحن العرب، تقضي علينا ان لا نظلّ وجهاً لوجه مع انكلترة.» وكم شكا فيصل الظروف التي جعلته يتحالف مع الانكليز وحدهم. وكم كان بوده ان يستخدم سياسة التوازن، فيتعاون بوقت واحد مع فرنسة وانكلترة. ويكون عميل الواحدة في سورية وعميل الاخرى في العراق. وهكذا، يُصبح قادرًا على ان يتلافى من جهة ما يخيّبه القدر من آماله في الجهة الثانية، ويعمل في كل ذلك على الاسراع لتحقيق رغائبه.

ومن الطبيعي ان لا تكون هذه الفكرة من ذوق العمال الانكليز في الشرق. لان فيصلًا، في نظرهم، ما كان الّا آلة مناسبة تمكنهم من تثبيت الاستعمار البريطاني على طريق الهند البرية.

ويذكر الكاتب محاولات الانكليز في تعزيز مصالحهم «مختفين وراء فيصل، بطل الفكرة العربية»، وما كان من جهود فيصل الاتفاق مع الفرنسويين ساعياً في سبيل وضع اخيه علي عرش سورية. بيد ان هذه المساعي انتهت به الى التفكير بانه «قادر على الانتفاع شخصياً من جهوده» وبانه قادر ان يمتلك يوماً ما في دمشق وبغداد.» وهنا يشير الدكتور الى بعض الذكريات الشخصية فيقول (ص ١٠٠):

حدثني الملك فيصل في احد اسفاره الاخيرة الى باريس، بالحاح اشد مما كان يظهر عادة، عن آماله في تأسيس مملكة سورية، قائلًا ان هذا العرش يعود دون شك الى احد افراد العائلة الهاشمية، الى اخيه علي، مؤكدًا ان الوطنيين السوريين لا يعارضون في ذلك.

ثم التقيت بعد ايام، بالزعماء الوطنيين، فكلمتهم عن نيات فيصل التالية

عليه. فلم يخفوا عليّ انهم بعيدون عن تحبيذ هذه الفكرة. على ان القدر شاء ان يجمعني واياهم في مجلس فيصل في اليوم الثاني. وعادت قضية المملكة السورية على بساط البحث. وكم كان عجبي شديداً اذ تحققت ان الملك والوطنيين يظهرون على اتفاق في ما خصّ المبدأ. فخيّل لي من واجبي ان الفت نظرهم الى ان هذا الاتفاق يستند ولا شك الى سوء تفاهم. فقلت مذكرّاً زعماء السوريين: «انكم انفسكم صرّحتم لي بانه لا يظهر لكم ملائماً ان تنصبوا عرشاً في دمشق، ولا سيما اذا كان الجالس على هذا العرش الملك علي. نعم، لقد قلتم ان القضية تتطور اذا كان الملك فيصل نفسه المدعوّ الى ملكية دمشق. ولكن هذا فرض غير محتمل، لان صاحب الجلالة ذاته يعترف بان الملك عينه لا يمكنه ان يحكم مملكتين الواحدة تحت الانتداب البريطاني، والاخرى تحت الانتداب الفرنسي».

وكان فيصل يصغي الى الحديث فلم يوضح فكره بالنظر الى قولي. بل إكتفى بان اعرب عن رأيه في هذا القالب الاعتيادي الطقسي: «انني اظل تحت تصرف الشعب والدولة المنتدبة في سبيل الخير المشترك.» اذ ذاك فهمت ان الفكرة اصابته، ولكنه كان يبعد تحقيقها باقل وضوح مما كنت اتصور. كان يعلم انه يتمتع بنفوذ عظيم لدى الشعب السوري وانه مدين به الى ماضيه لا الى كونه اميراً هاشمياً. فكان يؤمل استخدام هذا النفوذ في ارتقائه عرش دمشق. وهكذا، فقد يتمكن من خلق صلة شخصية بين الدولتين، دولة سورية ودولة العراق، شبيهة بالصلة التي ربطت سابقاً نروج باسوج.

وان اموراً هذه احوالها كانت ملائمة لسياسة التوازن التي شاء اتخاذها بين فرنسة وانكلترة. وعلى كلٍّ، فانه لمن المحقق ان فيصلاً ما كان ليهمل اية فرصة ليجذب اليه وجهة نظر السوريين. وقد ادعى مراراً انه يدافع في باريس عن مقاصدهم ومصالحهم.

ثم سرت هذه الفكرة في عقله. حتى انه، عقيب سفرة ثانية الى فرنسة، حيث واجه اشخاصاً بارزين استقبلوه بكل لطف، خيّل اليه انه قادر بعد زمن قريب على ان يعقد تاجين على جبينه. ولكن حاشيته التي ما كانت تقاسمه

الامانة في حفظ السر، اعلنت مقاصده بصوت عال . فكان ان حدثت عن ذلك الشكوك، فصار من الواجب تكذيب الاشاعة. والحقيقة ان الفرنسيين لم يغيّروا ابداً موقفهم . فقد صرحوا دائماً بان سورية حرّة في اختيارها، وبانهم لا يعارضون ابداً نوع الحكم الذي تتخذه لها، سواء أكان جمهورياً ام ملكياً.
واذ كان ولاة الامور في فرنسة يتحدثون بهذا الكلام، ما كانوا ايروا بأساً في قبول ترشيح احد امراء العائلة الهاشمية . على انهم لم يتصوروا ان فيصلاً نفسه يكون موضوع بحثهم . فلم تتفتح عيونهم الا في النهاية . وليس من شك في انهم لو ادركوا ذلك لكانوا قاوموا هذه الفكرة فنحوا شخصية فيصل . لان الفرنسي الوسط لا يمكنه ان يفهم معنى لجلوس فيصل على العرش، وهو يدري رأي فرنسة فيه وحكمها عليه . وقد شعر فيصل بهذا، حتى انه لم يطلب، عوضاً عن الامتيازات الاقتصادية التي كان يعرضها على فرنسة، وعوضاً عن عمله الشخصي تجاه الوطنيين السوريين في سبيل فرنسة، الا شيئاً واحداً وهو، اذا تقرر تأسيس مملكة في دمشق، ان لا يتم انتخاب الملك بدونه . وهكذا فانه كان يبعد المرشحين في سبيل عائلته.

وعليه، فقد وصل بنا الامر الى طريق لا تنفذ: ان السوريين ما كانوا ليفهموا الملكية الا بفيصل، فكانوا يبعدون كل مرشح، غافلين عن ان ملك العراق رجل، واذاً فانه مائت . وها ان موته الصاعق وضعهم امام الحقيقة . فعلى كل امة ان تشيد مستقبلها على مبادئ، لا على حياة رجل.

شذرات

الصناعة اللبنانية سنة ١٩٣٢

نشر في ما يلي ملخصاً عن حالة الصناعة اللبنانية مدة السنة ١٩٣٢، نأخذه عن نشرة بنك سورية ولبنان الكبير.

ان الصناعة في مناطق الانتداب الفرنسوي تتابع، على رغم الازمة الاقتصادية العامة التي لم تكنها ثمرها، تطورها الحسن الذي ظهرت بوادره منذ ان تخلصت هذه المناطق من الامبراطورية العثمانية البائدة فشعرت بضرورة ايجاد سياسة اقتصادية خاصة. ومن مظاهر هذا التطور نقص الصناعات القديمة عدداً واهمية وليس امام هذه الصناعات الّا ان تتجدد او تضمحل. ومن ذلك انشاء صناعات جديدة كثيرة توافق مبادئ الفن العصري.

وهكذا فاننا رأينا في السنة ١٩٣٢ انحطاطاً سريعاً في الصناعات القديمة كالصابون المتعددة في المناطق الزيتية، والدباغات في بعض الانحاء اللبنانية، والانوال وكراخين الحرير القديمة في لبنان. والانوال القديمة في حمص وحماه، حتى ان كثيراً من هذه المعامل اقفلت ابوابها. اما معامل المنسوجات في دمشق وحلب فقد حافظت تقريباً على حركتها السابقة بفضل ما قامت به الحكومة من حمايتها بالاحكام الجمركية. على ان هنالك كثيراً من المنشآت الصناعية الجديدة ظلت على ازدهارها بل تقدمت ايضاً على رغم الازمة الاقتصادية، بفضل جهود اربابها وبفضل احكام الحماية الجمركية التي اصدرتها الدولة المنتدبة. حتى ان ادارة الجمرك سجلت، مدة السنة ١٩٣٢، ١٤٠ طلباً بالاعفاءات الجمركية منها ٣٨ عن مواد اولية لانشاء المعامل. وكذلك فاننا نشير الى تأسيس معمل عصري للجعة (البيرة) وآخر لشفرات الحلاقة في بيروت، ومعمل جديد لقساطل البتون في طرابلس، وآخر للبسكوت، ومعمل لمواد البناء في قرق خان (سنجق الاسكندرونة).

اما الغاية الاساسية من انشاء الصناعة العصرية في مناطق الانتداب الفرنسوي

فهي تخليص هذه المناطق على قدر الامكان من التعلّق بالاسواق الخارجية تعلقاً يكلفها غالياً دون ان يكون لها تجاه تلك الاسواق ما يقوم بمقابلة هذه الاكلاف. فيكون من ثمّ ان الغاية الاساسية ان تكفي هذه المعامل حاجة البلاد اولاً. على ان ذلك لا يمنع اصدار المحصولات الى الخارج اذا امكن الامر. وفعلاً فقد باشرت بعض المعامل الصناعية ان تضع كميات وافرة في سبيل الاصدار. من ذلك ما ينتج من احصائيات الجارك ان حصة صناعات النسج وما اليها بلغت وحدها قيمة تجاوز المليونين من الليرات اللبنانية السورية في فرع الاصدار. وان حصة صناعة الاحذية ٦٠٠ ٨١ ل.ل.س. وقيمة الصادرات من الموبيليا وما اليها بلغت ٠٠٠ ١١٤ ل.ل.س. وقيمة الزيوت المصدرة بلغت ٠٠٠ ٤٧٩ل.ل.س. وقيمة المصدر من الفواكه المجففة والمربيات بلغت ٠٠٠ ١٦٣ ل.ل.س.

هذا وان ما يمثل «الصناعات القديمة» انما هي صناعات النسج خاصة البائنة في حلب ٥٠٠ ٦ نول، وفي دمشق ٣٥٠ نولاً، وفي حمص ٥٠٠ ١ نول، وفي حماه ٢٠٠ نول. وكذلك المصابن القديمة وهي تبلغ ٣٨ منها ١١ في انطاكية، و٥ في حلب، و١٢ في بيروت.

اما المنشآت الصناعية الجديدة، وأكثرها من النوع المعروف بالصناعة الصغيرة او المتوسطة، فانها تختص بكثير من المحصولات وتشمل ما يلي:

في بيروت وضاحيتها: معمل لنسج الحرير، ٦ معامل لحلّ الحرير، ٤ معامل للبرانيط والكلسات، ٥ معامل للسرد، معمل للاحذية، معمل الفراشي، معمل لتقطير السبيرتو، معملان للترميد والبلاط الترميدي، ٧ معامل للدخان والسكاير، ٧ دباغات، ٩ معامل للثلج، ٣ معامل للمعجونات الغذائية، ٥ معامل للشكولاته والمربيات، ٣ معامل للاسرّة الحديدية، ٨ معامل للبلاط السيمنتو، معمل لقساطل البتون، ٤ مطاحن، معملان لاعواد الثقاب.

في حلب: ١٠ معامل ميكانيكية للنسج، ٤ دباغة، ١٥ معمل ميكانيكي للنجارة، ٥ محالج قطن، ٢٠ مطحنة، ٦ معامل لبلاط السيمنتو، ٦ معامل

للدخان والسكاير ، ٣ معامل للسَّرد.

في دمشق : دباغتان ، ٨ معامل ميكانيكية للنسج ، معملان للجوخ ، ١٨ مطحنة ، ٦ معامل لبلاط السيمنتو ، مكبسان للزيت ، ٥ معامل للدخان والسكاير ، ١٣ معمل للبرانيط والكلسات.

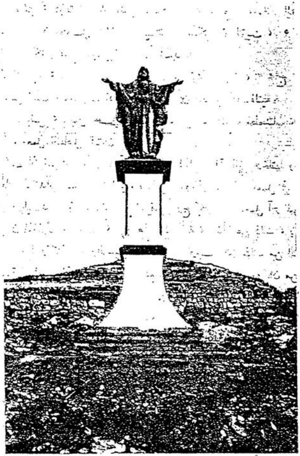
في اللاذقية : معمل لاستخراج الزيت من نوى الزيتون ، ٣ محالج قطن ، ٥ مكابس زيت ، معمل سكاير ، معمل لتعدين الصخور الاسفلتية.

في طرابلس : معمل لحلّ القطن ، معمل سيمنتو ، مطحنتان ، معمل سكاير ، معمل لقساطل البتون.

ويجب ان نفرد ذكرًا خاصاً لصناعة اللحام الذاتي التي ادخلتها وقدّمتها في مناطق الانتداب شركة « الهواء السائل ». ولهذه الشركة معمل في بيروت مستعدّ لتوليد الاوكسجين على طريقة جورج كاود ، ومعمل آخر لتوليد الاسيتيلين المحلول . وقد قامت هذه الشركة ، فضلًا عن ذلك ، بايجاد مستودعات للاوكسجين والاسيتيلين المحلول ، وما الى ذلك من الادوات اللازمة للحام الذاتي والكهربا. في دمشق وحلب وطرابلس. وكان من فضل هذه المنشآت ان تمكنت المعامل الصناعية بالقيام بكثير من اشغالها مدة الخمس السنوات الاخيرة كما انها عملت على انشاء كثير من دكاكين اللحام في كثير من المدن والقرى اللبنانية — السورية ، حتى انها بلغت في بيروت وحدها المائة. ولا يخفى ان هذا العمل يمكن مئات العمّال من الشغل فالمعيشة.

تمثال قلب يسوع الاقدس في غزير

فكر الاستاذ شكري بشلي في اقامة تمثال كبير لقلب يسوع الاقدس على احدى روابي غزير فراقت فكرته هذه للغزيريين وتبرعوا لتحقيقها باكف سخية ودشّن التمثال الجميل يوم عيد المسيح الملك الواقع في ٢٩ ت١ ١٩٣٣ في حفلة شائقة كرّس الغزيريون بلدتهم وعيالهم لقلب يسوع الاقدس بين معالي التقوى والعبادة. (علو التمثال ثلاثة امتار وعشرة سنتيمترات وعلو القاعدة ستة امتار . ويرى المطالع صورته في الصفحة التالية)



تمثال قلب يسوع الاقدس في غزير

مطبوعات شرقية جديدة

Miguel Asin Palacios: Vidas de Santones Andaluces. La « epistola de la Santidad » de ibn ʿArabi de Murcia. [*Escuelas de Estudios arabes de Madrid y Granada.*] *Madrid, Estanislao Maestre* 1933. *in*-8°. *Prix* : 8 *pesetas*.

رسالة القدس

هذه ترجمة اسبانية لرسالة القدس للصوفي الاندلسي الشهير ابن العربي المرسي . استند فيها المترجم الى مخطوطة من مكتبة الاسكوريال . واهم ما فيها نحو خمسين ترجمة حياة كتبها ابن العربي مترجماً لصوفيي عصره في بلاد الاندلس من الذين عرفهم وعاشرهم ، كما يقول ، وبين هؤلاء امرأتان صوفيتان تتلمذ لهما ابن العربي . اما طول هذه التراجم فتتفاوت بين عدة صفحات وبعض اسطر فقط . واذا غير المطالع اسماء هؤلاء الصوفيين فانه يخال نفسه قارئاً حياة ارباب الروحانية من المسيحيين لما هناك من الشبه بين التعابير وبين الحالات التي يذكرها المؤلف . هذ وقد زاد المترجم ملاحظات وحواشي مفيدة جديرة باسمه وبتضلعه من تاريخ الصوفية الاسلامية في بلاد الاندلس . ه . ل .

Jean Gaulmier : Notes sur le mouvement syndicaliste à Hama [*Extrait de la Revue des Etudes islamiques*, 1932] *Paris, Geuthner*

آراء في الحركة النقابية في حماه

هو بحث قيّم بما فيه من سعة اطلاع ودقة معلومات في ما خصّ المظاهر الاولى للحركة النقابية في مدينة لم يكد يكون فيها شيء من اتحاد اصحاب المهن . وقد وفّق المؤلف الى وصف هذه الحركة التي نشأت زمن الانتخابات فكانت سياسية قبل كل شيء ، وكان محدثوها من ارباب الرساميل ذوي الاحتكاك بمدنية يدعونها غربية . اما العمال انفسهم فلم يكونوا في شيء من هذه الحركة . واما قوانين هذه النقابات فان نصوصها خالية من كل تعبير ديني ، بل انها تنمّ عن اسلوب فلسفي ورغبة في الوضوح والدقة ، يشيران الى مصدرها

الغربي المتأثر بذاك المجرى الصادر عن « جامعة فرنسة » . هذا ، ويلاحظ المؤلف ، في اول بحثه ، ان جميع الحكومات التي تتابعت في سورية منذ اثنتي عشرة سنة ، كانت تصرف همتها الى المظاهر السياسية ، حتى انها لم تمنح مشاكل العمل الا اهتماماً ضئيلاً جداً.

ج . ل .

Louis Milliot : Les institutions kabiles. [*Extrait de la Revue des Etudes islamiques*, 1932]. *Paris, Genthner*

المؤسسات القبيلية بين البربر

يشمل هذا الكتاب درساً واسعاً في العادة القبيلية كمصدر للشرع البربري، ومركزها في الحقوق الجارية في شمالي افريقية ، وعلاقاتها بالعادة المغربية وبالشرع الاسلامي ، ثم درساً خاصاً في القاعدة الحقوقية في الشرع القبيلي ، وتطورها . وهناك ايضاً بحث عن القبيليين او البربر في باريس ، وهو بحث مهم مفيد بالنسبة الى عدد هؤلاء الافراد البالغين من ٣٠ الى ٤٠ الفاً في العاصمة الفرنسوية .

ج . ل .

Dwight M. Donaldson : The Shi'ite religion. A history of Islam in Persia and Irak. [*Luzac's Oriental religions series, vol. VI*] *in-8° illustr.* 1933 *Prix* 15.

الديانة الشيعية

كنا نفتقر الى تاريخ يتتبع ديانة الشيعيين في نشأتها وتطورها . فكان لنا هذا الكتاب الذي سد الثلمة على طريقة مقبولة كافية بالاجمال . وذلك ان المؤلف استند في الاكثر الى المصادر الفارسية الشيعية ، وكان من حظه ان عاش في وسط شيعي محض هو المشهد .

يبدأ الكتاب بموت محمد ومبايعة الخلفاء الثلاثة ، فتأثر علي وحبوط آماله اذ كان يرى ان له وحده الحق بذلك المركز السامي . ثم يسرد المؤلف تاريخ الائمة الاثني عشر ، ويصف المعابد الشيعية الكبرى كمشهد كربلاء والنجف وغيرهما ، ويشير الى طرق العبادات التي يقيمها الحجاج . ومما كنا نود ان نراه في هذا الكتاب بعض التفاصيل عن النحل المختلفة التي تفرعت عن الشيعة ، وبعض التدقيق في كتابة الاعلام العربية فلا يكتب عمرو بن العاصي ، فاتح

مصر ، بصورة «ابن اوص» ولا يصبح ابن الخليفة عمر على هيئة «ابن عامر».
هذا وينتهي الكتاب بذكر المآخذ وبفهارس واسعة غاية في الافادة . م . ل .

Franciscus - Xav. Kortleitner Ord. Praem. : Formae cultus Mosaici cum ceteris religionibus Orientis antiqui comparatae. 1 *vol. in-8° XII — 432 pp. Maria Vereinsbuchhandlung, Innsbruck*, 1933.

مظاهر الديانة الموسوية والديانات الشرقية المعاصرة

هو مشكل قديم في المشابهات الظاهرة بين الديانة الموسوية للاله الحق ، وعبادات الديانات الوثنية المجاورة . وقد درسه كثير من المؤلفين على الوجهات المختلفة ، حتى قام الاب كورتلتنر فخص به مجلدًا كبيرًا ، بعد ان كتب في الموضوع ابحاثًا متنوعة . وهو يقرّر الفرق اولًا بين الديانة الشرعية ، والاعتقادات الخرافات ، و العبادات الوثنية التي كان يجري عليها الشعب او سادته . ويحجم كذلك عن اتباع بعض المؤلفين في الاكثار من ذكر المشابهات دون برهان كافٍ . اما ما يظلّ من مظاهر الشبه او الاتفاق الجوهري ، بعد هذه التحفظات ، فيشرحها المؤلف بعضها بالاصول المشتركة الراقية الى الوحي الاصلي القديم ، وبعضها باستعارات مفيدة ومشروعة تتعلّق ، لا بعبادة يهوه بما فيها من ميزة جوهرية ، بل بالطرق الخارجية لتأدية تلك العبادة ، وهي امور كثيرًا ما تُترك للاختيار البشري . فيكون ان المؤلف اتانا ببحث قيّم وددنا لو زاد في تقريبه من الافهام بالسير على اسلوب اقرب الى التطبيق . ب . م .

F^r-Xav. Kortleitner : Aegyptiorum auctoritas quantum ad Israelitarum instituta sacra pertinuerit. [*Commentationes biblicae VIII*] *pp. VIII + 84 in-8°*, 1933. *Prix M. 2, 40. Verlag Felizian Rauch, Innsbruck*

اشتراك المصريين بعبادات الاسرائيليين

في هذا الجزء الثامن من تفسير التوراة يفتش المؤلف عما اذا كان المصريون يشتركون ببعض الحفلات الاسرائيلية او كان لهم دخل ببعض تفاصيل تلك العبادة كمظاهر الطقوس المتعلقة بتابوت العهد ، وثياب الكاهن ، ونهار السبت ، والختان وما الى ذلك . وهو ينقل كثيرًا من النصوص المهمة ويستغلّها على طريقة جزيلة الفائدة للطلاب . وان استعماله للغة اللاتينية في ابحاثه لمّا يسهّل

انتشار هذه الابحاث في جميع الاوساط الكتابية.

Dom F. Cabrol: Saint Benoît. [*Collection « les Saints »*] *Paris, Gabalda*, 1933

القديس بنديكتوس

كانت مجموعة القديسين بحاجة الى من يكتب لها حياة القديس بنديكتوس، فرغبت الى المؤلف في ذلك، فكانت كمن اعطى القوس باريها. ولم يكن العمل سهلًا لان القديس بنديكتوس غير معروف الا بترجمة قصيرة كتبها البابا القديس غريغوريوس واهتمّ فيها خاصة بذكر عجائب القديس الكبير. على ان المؤلف، وهو من اهل البيت، عرف كيف يدرس روح القديس ويستغل تلك المعلومات الضئيلة. ثم اضاف الى ذلك محاولة توقيتية مفيدة وسلسلة باسماء الكتب المذكورة في ترجمته.

Lady Blennerhasset : Marie Stuart 1542-1587. *in*-12 *de* 316 *pp. Paris, Plon*, 1933

ماري استوار

في هذا الكتاب سرد متتابع شائق لحياة ملكة من اعظم الملكات في عهد النهضة الاوربية. هي ماري استوار التي كانت ملكة اسكتلندة وملكة فرنسة مدة ما بسبب زفافها الى فرنسوا الثاني. وقد سجنتها «اختها» ملكة انكلترة فاقامت في السجن مدة ١٨ سنة، وفاضت روحها على المقصلة في ٨ شباط ١٥٨٧. فكان من نتيجة ذلك ان القسم الاخير من حياتها وقتلها على تلك الصورة كوّن حولها شبه اسطورة ممتزجة بالالم والتعاسة جديرة بالاشفاق والعطف. وهو ما يدفع المطالع الى التلذذ بقراءة هذه الترجمة الواضحة الدقيقة الملمّة بجميع ما اكتنف تلك النفس من طموح وشهوة ونشاط عجيب. وفي الكتاب رسوم ثمانية متقنة. ج. ل.

L. de Grandmaison s. j. : Ecrits spirituels. I. Conférences *in*-12 *de* 317 *pp. Paris, Gabriel Beauchesne.*

محاضرات روحية للاب دي گرانميزون

لا شكّ في ان جميع من تعوّدوا قراءة تآليف المرحوم الاب دي گرانميزون يستقبلون هذه المحاضرات برغبة وغبطة فائقتين. فيرون فيها تلك الميزة الخاصة

التي من الاسهل على الانسان ان يتذوّقها من ان يصفها. هذا وللكتاب مقدّمة بقلم السيدة داميلو شرحت فيها الظروف التي دفعت المؤلف الى القاء محاضراته، وفي اي وسط ألقيت. اما المحاضرات فقد قُسمت الى خمسة اقسام: الخضوع لله، وشروط العمل الارسالي والعمل نفسه، والصلاة ينبوع الحياة الارسالية، وطهارة المرسل، والفرح الارسالي.

Jean Balde : La touffe de gui. *in*-12. 1933. *Paris, Plon.*

باقة الدَّبق

لقد نال المؤلف بعدة روايات لطيفة شائقة ادبية رغبة قرّاء ما انفكّوا يزدادون يوماً فيوماً. وهذه الرواية ما كانت لتشذّ عمّا نعرف. يصوّر فيها المؤلف امرأة شابة مريضة تأتي مع زوجها وابنتها البالغة ١٥ شهراً الى مدينة بالقرب من أركشون في فرنسة. فيتركها الزوج ذاهباً الى مركزه في سيغون؛ اما الطفلة فتعتني بها صديقة قديمة للام. ثم تزداد العقدة بوفاة هذه الام المريضة وبزواج الاب ثانيةً. فتحتلّ المربية المركز المهمّ في الرواية محافظةً على الطفلة حتى تصير فتاةً في سنّ الزواج. كل ذلك باسلوب لذيذ جذّاب.

Islamica, *Sechster Band, Heft I*, 1933

مما يجدر بالذكر في هذا الجزء مقالان مهمّان: الاول في «اصول القراءة القرآنية» يحلّل فيه الكاتب عدة مخطوطات في الموضوع لم تطبع بعد. والثاني في العلاقات الاجتماعية بين البدو من نسب، وسلطة، وثأر، وهو لم يستوفِ المادة كلها بل له تابع يظهر في جزء قادم.

ابن عبد ربه وعقده

بقلم جبرائيل سليمان جبور

١٦٤ ص. متوسطة – المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٣٣

لا نتبسط في ذكر محتويات هذا الدرس القيّم، وقد تحقق المطالع مما فيه من معلومات واسعة، ونقد دقيق متين. وهي الصفات التي دفعت ادارة «المشرق» الى نشر البحث على طوله. وهي الصفات نفسها التي حملت الجامعة الاميركية على اعطاء المؤلف شهادة «استاذ في العلوم»، فنهنئه. هـ. ل.

الوحي المحمدي

تأليف محمد رشيد رضا

مطبعة المنار ، مصر ١٣٥٢ = ١٩٣٣ م ، قطع ٨ ص ٢٠٠

لا حاجة الى تعريف القراء بالسيد محمد رضا ، منشئ مجلة المنار الاسلامية ومحررها المجاهد ، وقد سبق للمشرق (٣٠ [١٩٣٢] ٢٣٧) ان ذكر له مؤلفاته خاصة في التفسير ، ونقض بعض اقواله فيما يمس النصرانية . والشيخ محمد علم من اعلام الادب الديني الاسلامي المحافظ ، في مصر ، وصديق ابن سعود الوهابي ، واحد دعاة المسلمين الى التمسك بالقديم ونبذ ما يستحدثه المحدثون مخالفاً لتقاليد السلف.

ليس في الكتاب الذي اهداه الى المكتبة الشرقية ما يزيدنا معرفة في المشاكل الجوهرية التي يدور الجدال حولها بين المسيحيين والمسلمين ، وقد استقصتها كتب مطولة ككتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » لتقي الدين بن تيمية ، و«هداية الحيارى من اليهود والنصارى » لابن قيم الجوزية ، و«السيف الحميدي الصقيل » لبكر بن عمر التميمي ، و«لسان الصدق » للبحراني ، و«نجوم المهتدين » للنبهاني ، و«الاسلام والنصرانية » لمحمد عبده ؛ وليس مؤلَّف السيد رضا مستنفد المواد متناسب الاجزاء متسلسل القضايا فيغور فيه فكر المفكرين ، بل هو مجموعة عجالات ظهرت اولاً في المنار ثم برزت بكتاب مستقل . على ان سهولة مطالعتها لما فيها من العناوين والفهارس ووقع المواضيع التي عالجتها ردًّا على مسائل تجددت ، ومسها الدين المسيحي تحول دون الاغضاء عنها من غير اعادة النظر فيها عسى ان نوفق الى نتيجة صالحة.

قدم المؤلف كتابه دستوراً وحجة للاسلام على المسيحية ، واهداه الى المؤتمرات والجماعات الاسلامية في العالم (القدس ، جنيف ، لاهور ، مصر ، وسائر الاقطار) ودعا به شعوب المدنية الى الاسلام فلا بد من ان نطالع اهمّ مواده ثم

ننعم النظر في عقدته الوسطى وقد اعلنها بعنوان الكتاب وهي « ثبوت الوحي الالهي في الاسلام بالقرآن »

تشاءم السيد محمد رضا ووصف عصرنا بعصر ساقط اعوج يحتاج الى مصلح جديد . فاين هو من الصواب ؟ قد يتساءل العلماء الاجتماعيون هل يكون عصرنا احطّ ادباً واخلاقاً من العصور الماضية ؟ وهل هبطت الاداب وساءت الاخلاق الى مستوى يدعو الى المناداة بالويل والثبور بصوت اجهر مما كان في القرون الخوالي ! فاغلبهم يقولون : كلا . ولسنا في البعد الكافي عن حوادث اليوم لنبتّ فيها حكماً منصفاً لان تأثيرات الوقائع اليومية فينا تزيدها في اعيننا شرّاً ان كانت شريرة ، وخيراً ان كانت صالحة.

وانفعالنا في الواقع يضلل حكمنا وصوابنا ، فنجسم الحوادث اليومية ، ويخيّل الينا ان الماضي لم يشهد ما يشهده الحاضر . والحقيقة ان في الماضي شروراً عظيمة . ولكل عصر آفاته واذا ما قابلنا بين شرور اليوم وبين خيراته ، في الكون ، فقد نرى كفة الميزان ارجح الى الخيرات منها الى الويلات . نسب المؤلف الى ارتقاء البشر المادي هبوط الاخلاق واطلق حكمه على البشر اجمعين وان في ذلك لمغالاة لانه من المؤكد ان ذلك الارتقاء رفع بالالوف والملايين ممن كانوا في الامس يعيشون بالعزلة عن العالم المتمدن وصاروا اليوم يتعلمون ويتمدنون ، وهم في ذلك يرقون في دينهم ودنياهم ، شأن الالوف الداخلين سنوياً في الدين المسيحي من البلاد الوثنية بفضل سهولة الاسفار ، وسرعة المواصلات ، واحتكاك الشعوب وتفاهمها فليس من ثم انحطاط . فضلاً عما في البلاد الاوربية من النهضة الدينية ولا يخفى ان الفضيلة الساكتة وتواريها في ظلال المعابد لا يحول دون وجودها الحقيقي وشهادتها بان الاصلاح الذي ينشده السيد رضا ليس مما تحتاج اليه البشرية طرّاً كما توهم . فليس مطابقاً الواقع ما قاله ان البشر يرجعون القهقرى في الآداب والفضائل على نسبة عكسية مطردة لارتقائهم في العلوم المادية (وماذا يعني بالعلوم المادية ؟ والعلوم بجوهرها روحية فتصير آلة للشهوات بيد الاشرار لكنها بذاتها تصلح للخير) وكان الاحرى به ان يميز بين حالة وحالة فلم يفعل وطرح الكلام جذافاً.

ومضى المؤلف يعلل علل الهبوط وهي في زعمه صادرة عن جهل العالم لدين الاسلام.

الاسلام مجهول

قال: ثلاثة حجب تحول دون النظر الصحيح في الاسلام.

اولاً: الكنيسة او الكنائس. ونسب اليها من الصفات ما نترفع عن اعادته، وآداب المناظرة تحول دون الرمي بقذائف الكلام. ثم قال ببساطة صبيانية «والحق ان الاسلام هو صديق المسيحية المتمم لهدايتها وان محمداً هو الفارقليط...» ابهذه الادلة يدعو العالم المتمدن الى اعتناق الاسلام؟

ثانياً: رجال السياسة الاوربية وايثارهم الاستعمار... ونسب اليهم ما نسبه من صفات مستقبحة. ولكن ماذا يقول الشيخ لمن يصف رجالات الفتوح الاسلامية العظام كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وغيرهم وصفه لرجال الاستعمار المحدثين؟

ثالثاً: سوء حال المسلمين. قال: «قد فسدت حكوماتهم وشعوبهم واستحوذ عليهم الجهل بحقيقة دينهم ومصالح دنياهم حتى صاروا حجة لاعدائهم». والسبب الاساسي لذلك كله انما هو، في عين المؤلف، جهل القرآن. فما ان يعرف الناس ذلك الكتاب حتى يتم الاصلاح الشامل وتعمّ الخيرات. ومضى يعدّد فضائل القرآن في مقاصد عشرة، وقال ان فيه اصلاح اركان الدين، وبيان النبوة، وفيه الاصلاح السياسي، والدولي، والمالي، والحربي، والنسائي، والاجتماعي، الخ الخ. وتكلم في الوحي، وتطرق الى المقابلة بين جان دارك وبين محمد، وبين السيد المسيح وعجائبه ومحمد وعجائبه. ففسح لنا مجالاً للنقد ابعد مما نرومه لهذا المقال، لو شئنا مناقشة المؤلف كل المواضيع التي مس بها النصرانية مساً صريحاً او غمزاً، والبعض من اقواله لا يثبت لنقد، وهو المردّد: «ان مجمعاً مسيحياً وضع موضع الشك هل للنساء نفوس بشرية» فحذا حذو الشيخ المغربي وقد رد عليه المشرق (٢٦ [١٩٢٨] ٣٨٦) مبيناً ان الشيخ لو فقه اللاتينية لعرف ان المشكل انما كان لغوياً محضاً ومفاده: هل كلمة انسان باللاتينية homo تطلق على الرجل والمرأة معاً ام لا؟ ولا حاجة الى

تبيان ما في مقاصد الشيخ محمد رضا من التناقض في قوله ان الاسلام هو دين الحرية والتآخي وانه يضمن للناس اجمعين حقوقهم ، وقوله بعد ذلك ، ان الاصلاح الاجتماعي والسياسي لا يتم الا بوحدة الامة والجنس والدين والتشريع والاخوة الروحية والمساواة في التبعة والجنسية السياسية والقضاء واللغة (١١٩–١٢٥) اي بان يصبح العالم كله مسلماً عربياً . فتصوَّر !

معجزة القرآن

من المعلوم ان المسلمين يستشهدون بكتابهم على صدق نبوة محمد فهو عندهم آية الآيات ، والاعجوبة الصريحة ، والدليل القائم بذاته على مدى الايام داعياً الى الهدى من غير شاهد يشهد بصحة نسبته الى اصله ، كأن به توقيع الله بالذات . ويدعمون قولهم بما ينسبونه الى مفاعيل القرآن من الحوادث العظمى التي قلبت فئةً عظيمة من البشر ظهرًا لبطن ، وبالاختصار فالقرآن عندهم كما يقول السيد محمد رشيد رضا هو معجز للخلق بلفظه ، ونظمه ، واسلوبه ، وعلومه ، وهدايته ، وبذلك هو « آية لاكالآيات ونور لاكالانوار » (ص ٥٩)

ولكن ما هي قيمة تلك المعجزة وما هي حقيقة مفاعيلها ؟

قال الاب دي لانترسان محرر مجلة « في ارض الاسلام » الافرنسية (*En terre d'Islam*) :

«ليس في يومنا من يخالف في قيمة القرآن الادبية ، كما وانه ليس من يشكّ في قيمة التوراة اللغوية في الترجمة الانكليزية او في الترجمة الالمانية لمؤلفها لوثر . على ان تلك القيمة لبشرية محضة . وقد يتاح لكل انسان مثقف ان يتحققها تحققاً متفاوتاً مع تفاوت تضلّعه من اللغة ومن آداب البلاد التي وضع فيها الكتاب . ولكن تلك القيمة الادبية ليست مما يزيد او ينقص في قيمة المتن الدينية .

اننا لا ننكر على القرآن القيمة الدينية ، ونحن على بيّنة من مفعوله في اثارة مواطف السجود والصلاة والتسليم لارادة الله . وهناك جمهور المتصوفين الصادقين من استقوا من مناهل القرآن على مدى الزمان مياه العبادة الصادقة لله عزّ وجلّ .

ولكن محور كلامنا لا يدور على تأثير القرآن في النفوس بل على السؤال هل القرآن بذاته دليل ؟ هل هو بذاته آية الآيات ومعجزة المعجزات كما يسميه

السيد محمد رضا (ص ٥٦) وقبله الكثيرون من كبار ائمة المسلمين؟ هل القرآن هوكلام الوحي، لا بمعنى الوحي الشعري او الفني المعروف عند اهل الفن والادب بالوحي النفسي (كما ذكره المؤلف ص ٢٩) ولكن بالمعنى الكامل المألوف عند رجال الدين اعني به كلام الله الحي؟

بعيدٌ عنا القول ان كتاباً موحى به من الله وحياً بيّناً لا يمكن ان ينمّ عن اصله الالهي من غير ادلة خارجة عنه، وانه من المستحيل ان يشهد الكتاب بذاته لصاحبه فتثبت فيه علامة الله وتوقيعه. ولكن الصعوبة كلّ الصعوبة هي في ان نتحقق تلك العلامة من غير ما ان نخشى الضلال، ولا نخاف ان نكون غلطنا في تحقيقنا. وما المشكل الا مشكل الدليل الباطني، وهو شهير عند اهل التفسير. فان قيمة الدليل الباطني على صحة الوحي لم تقع قط في الجدال. ولكن الجدال انما هو في تطبيق العلامة والدليل الباطني تطبيقاً لا يترك مجالاً للريب. ولذلك فقد اجمع المفسرون على القول ان الدليل الخارجي هو اشد تأثيراً من الباطني لانه ابعد منه عن خطر الغلط وآمن على سلامة التأكيد.»

ففي الامر الواقع ليس للدليل الباطني قيمة الا القيمة السلبية اي انه ينفي كون مؤلَّف من المؤلفات يمكن ان يكون قد خرج من عقل بشري.

هذا وان كان الكلام على كتاب فيه ما فيه من العيوب، رغم ما يحويه من محاسن الجمال واساليب البيان، فلا بد من القول ان ذلك الكتاب غير ممكن ان ينسب الى الله. فمن اجل ذلك لا نرضى بالقرآن اعجوبة ولا دليلاً.

قد دوّن بعضهم نقائص القرآن لا في امر اللغة فحسب، بل في سرد الحوادث والاخبار ممّا يطول بنا الكلام عليه وحسبنا ان نرسل القارئ الى مطالعة المقالة التي ذُيل بها كتاب صال في الاسلام وعنها اخذنا ما يلي مختصراً:

ان في طريقة كتابة القرآن وجمعه دليلاً على انه سقط منه شيء، وانه ليس بايدينا كل ما زعم محمد انه نزل عليه، فانه نسي منه شيئاً. وقد ثبت ايضاً ان الصحابة نسوا منه شيئاً. وكثير من آياته لم يكن لها قيد الا في ذاكرة الصحابة فضاع منها الكثير.

ثم ان في القرآن مناقضات. فهو اللسان العربي المبين وهو مع ذلك يحتاج

الى التأويل لما فيه من الآيات المتشابهات ، والشواهد في ذلك كثيرة ، يحاول المسلمون ان يفكوا مشاكلها ، لكنها دليل على ان الوضوح والبيان ليسا من ميزة الكتاب . وقد عالج المفسرون المشكل بامر الناسخ والمنسوخ . ولكن حجتهم واهية لان ذلك لا يصحّ في الاخبار . واما في الاحكام فلا يتمّ ذلك الا بنصّ الشارع نفسه ، وبالّا يُنسخ حكم الا بداعي ضرورة من تغيير الظروف ، وان يكون الناسخ تالياً للمنسوخ ، لكن القرآن لم يراعِ شيئاً من هذه الشروط ، وربما علّل المسلمون ذلك بسبب ما . ولكن لا بد من الاقرار في ان هذه الشواذات مخلّة في اساليب البلاغة . وعلى كل حال فما الافادة من نسخ آية والاتيان بخير منها ؟

وهناك اغلاط جسيمة في الحوادث التاريخية وتعريف الاعلام ، ومن امثال ذلك انه دعا مريم العذراء بنت عمران واخت هارون ؛ ولكن عمران ابو موسى سبقها بالف وستمئة سنة . وكذلك جعل هامان وزيراً لفرعون ، وفي الحقيقة تأخر هامان عن فرعون زهاء الف سنة . ولا تسأل عن الفرق بين يوسف ابن يعقوب وبرارته كما وردت في التوراة ، وقصته في القرآن حيث يتراخى للشهوة من ذاته . وتكلم القرآن على اسكندر ذي القرنين ونسب اليه ما لا يوافق اخبار التاريخ المحققة . وقال محمد انه اسري به الى المسجد الاقصى اي هيكل سليمان وزعم انه زاره وصلى فيه مع الانبياء . ووصفه وصفاً يقضي بانه شاهد عيان . مع ان الهيكل ايام محمد كان خراباً . فينتج من هذا وغيره ان القرآن انما كلام بشري هو ، وليس فيه حجة للاقناع باصله الالهي .

ولعل معترضاً من الاعراب يقول : « وما بالكم تناقشونا امر القرآن ، وهو موضوع بالعربية للعرب ونحن رضينا به دليلًا » . فنقول : ما كنا لندخل بالجدال مع السيد محمد رضا لولا تحرشه للمسيحية ، وتسلحه علينا وعلى الشعوب المتمدنة بما سماه اعجوبة القرآن . فكان ولا بد من الردّ عليه ، ولو بالايجاز . كيف يكون الكتاب بذاته دليلًا على اصله الالهي ، وفيه ما فيه من الشائبات ؟

هذا من امر اعجوبة القرآن باعجازه اما في مفاعيله وفي ما احدثه من التغيير في العالم ، وفي سرعة انتشاره ، فكل ذلك يفسَّر من غير ان نعزو امره الى

اعجوبة خارقة . لان العرب فتحوا البلاد فيما كانت هذه في حالة انحطاط سهل السبل للفاتحين ، وكثيرًا ما اتت على وصف تلك الحالة كتب التاريخ ، ويتاح مراجعتها لكل من اراد ذلك . ومن المعلوم ان التدابير التي ادخلها الاسلام في البلاد التي فتحها انما تعلمها ، لا من القرآن ، ولكن من الشعوب التي غلبها . وليس ما كان في سكان الجزيرة العربية وآدابها واخلاقهم ما كان يؤهبهم للقيام بالمهات العظمى التي القت عليهم الفتوحات اعباءها . والمؤرخون يشهدون طرًّا على ان المسلمين اخذوا عن اليونان والسريان والفرس كلما ادخلوه في انظمتهم وآدابهم وعلومهم . ولولا الشعوب التي انتصروا عليها لماكانت مدنيتهم ترقى عما كانت عليه ايام كانوا محصورين في اقفار الجزيرة وعمّا هي عليه اليوم . واما سعة انتشار الاسلام وعدد تباعه اليوم فليس منه دليل على كونه الدين الالهي الهادي النفوس الى السعادة القصوى عن اعتقاد معقول ، وتمحيص براهين ، وقوة عارضة . ان السيد محمد رضا وضع كتابه داعيًا فيه الشعوب المتمدنة الى الاسلام . ولماذا الشعوب المتمدنة ؟ لانه يعلم حق العلم ان الاسلام لم ينل الى يومنا من البلاد المتمدنة نصيبًا يُذكر . فان يعدّ اليوم ما ينيف على مائتين واربعين مليونًا من البشر فاكثرهم من العبيد او من الطبقات البشرية التي تجد في الاسلام رقيًا بالنسبة لما كانت عليه من عادة الاوثان . اما البلاد الراقية فلم تدخل في الاسلام بعدد يُعدّ فيذكر بالنسبة الى الشعوب المسيحية ، وهذه تُعد بما يزاهي الستمئة مليون ، وهم يدينون بدين الصليب وليسوا خاصة من سكان افريقية ومجاهلها ، بل هم من الذين يقبضون على ناصية العالم في كل صنف من اصناف العلوم والفنون والسياسة . فهؤلاء لن يرضوا ابدًا بدين الاعراب بديلًا عن دينهم .

وما كنا لنخاطب السيد محمد رشيد رضا بهذا الكلام لولا اضطرارنا الى الردّ عليه ، ومجلة المنار لا تكاد تخلو بعدد من اعدادها من الطعن بالمسيحية . فلا اقل من ان تسمع جوابًا بالتي احسن .

ف . ت .

تاريخ اسرة آل فرعون باصولها وفروعها

بقلم الخوري قسطنطين الباشا المخلصي

١٩٣٣ مطبعة القديس بولس، حريصا، ق ١٢ ص ٣٥٢

احب الاب قسطنطين آل فرعون، لما امتازوا به من خصال تحببهم الى معارفهم ولكونهم من كبار المحسنين الى الرهبانية المخلصية، فلم يألُ جهداً في اطرائهم كلما سنحت الفرصة الى ذلك. والحق يقال ان في المقامات التي برز فيها بعض افراد تلك الاسرة في بلادنا وفي البلاد الاوربية لمبرراً لاطراء مؤرخهم. فلا يدع اثراً من الآثار التي عثر عليها الا اوله في مديح ابطاله وان يكن ذلك غير ثابت الثبوت التاريخي النافي الشك فقال (ص ١١٥) عن الياس فرعون « انه كان برفقة بونابرت في موقعة جبل طابور الشهيرة فاصابه حينئذٍ جرح ولعله تعرض له وقاية لمولاه الذي كان يقصد بالضربة دونه ... »

ولكن في الوثيقة الافرنسية المنشورة ص ٣٢٣ ليس من ذكر لذلك الجرح ولا للوقاية. ومن المؤكد انها لتكون قد ذكرت لو كانت قد وقعت حقيقةً.

جاء (ص ١٢٢) في لائحة مؤلفات يوحنا فرعون الافرنسية: «محمد الثاني ونيقولا الثاني» والصواب نيقولا الاول. على ان بعض الهنات لا تذكر بالنسبة الى فضائل الكتاب وفيه الاستطرادات على عادات المسيحيين الشرقيين في القرن الماضي وعلى مراتقهم في الحوادث السياسية الخطيرة التي جرت في سورية ومصر في القرن التاسع عشر، وعلى حياة الطائفة الملكية. فنشكر للاب الفاضل عنايته، ونهنئ آل فرعون الكرام بما استحقوه من اطراء. ف. ت.

اللاسلكي

تأليف ادمون عبد النور

هدية المقتطف السنوية

قراءة هذا الكتاب سهلة لذيذة لما فيه من مواد جديدة لقراء العربية، واضحة مفهومة من كل اديب له بعض الالمام في العلوم، وفيها الكلام على فن اللاسلكي مع ذكر الحوادث المعاصرة التي كان للاسلكي فيها دوره سواء

اكان ذلك في مد المواصلات ما وراء الجبال والبحار والتقريب بين الشعوب او في تجهيز الاطباء بوسائل جديدة لمعالجة الامراض، او في ترقية العلوم والفنون بين المراصد الفلكية والغرف والنوادي الموسيقية او التعليمية.

على ان فائدة الكتاب العظمى هو تمرين اللغة العربية على التحدث بالعلوم. وجهود المؤلف في هذا السبيل جديرة بكل ثناء. جابه المصاعب فغلبها، ووفق في تعريب عدد عديد من الالفاظ والاصطلاحات في فن الكهرباء. فله الفضل. وقد وضع لتلك الالفاظ معجماً في ذيل الكتاب. وقال: «من اسباب وضعنا المعجم لتلك الالفاظ والاصطلاحات مع ما يقابلها باللغة الانكليزية ان تساعد من اراد بحثاً مستفيضاً بالموضوع ان يعول عليه في اصوله الانكليزية(١٧٢)». وان في ذلك اقراراً على ان استيعاب العلوم في اللغة العربية وحدها غير ممكن ولا بد لمن رام التبحر والاختصاص من التعويل على كتب في اللغات الاوربية.

وددنا لو عرض المؤلف الفاظ المعجم مصفوفة طبقاً للابجدية العربية في سلسلة ثانية ليسهل مناولها عند الاحتياج اليها يوم يوضع قاموس كامل للغة العربية.

ف. ت.

رجال المال والاعمال

هدية المقتطف (ثانية) ١٩٣٣

ظهرت تراجم رجال المال والاعمال في سني المقتطف السابقة. وها ان الادارة اعادت طبع تلك التراجم، وفي الاعادة افادة. على ان المقتطف مجلة انكليزية او اميركية بنزعتها واميالها فتكاد لا تستشهد الا برجال العالم الانكلوساكسونيين على اقوالها في العلم والعمران. ولعلها متطرفة في ذلك، فتأتي ببعض الاحكام المطلقة حيث الواقع يوحي التحفظ والتمييز.

أمن الصحيح ان «من يجول في البلاد الاوربية لا يرى جمهور الاهالي على ثروة طائلة، بل بالضد من ذلك يراهم فقراء يعيشون من يدهم الى فمهم؟ وان تسعة وتسعين بالمئة لا ينالهم شيء من ثروة البلاد»؟ لا ادري هل يطلق هذا الكلام على البلاد الانكليزية، واذكر فيما اذكر قول احد رفقتنا الانكليز

يوماً ، ونحن نمر بالقرب من بيوت العمال في احدى مدن انكلترة ، وقد بلغ الى مسمعنا صوت التوقيع على البيانو من داخل البيت ، قال يكاد كل عامل انكليزي في يومنا يملك البيانو في بيته » . فهل بلاد تحوي عامتها آلة الطرب الغالية الثمن في بيوتها ، تكون عامتها من الذين يموتون جوعاً اذا ما وقفوا يوماً عن العمل ؟ — اما في فرنسة فلا يصح فيها قول الرصيفة ؛ لان ثروة فرنسة ، على ما هو معروف ، انما هي في ما يسمونه « جراب الصوف » وهم يعنون بذلك المال الذي يدّخره الصانع او الفلاح في جعبته وهو وافر كثير . على اني لاواخذن نفسي بمناقشة الرصيفة امراً لم تتوغ في الكلام عليها الا النشيط على تقفي آثار رجال المال والاعمال. ف . ت .

مفكرات رياضة

الجزء الاول — للاب بطرس زهرة الاهمجي اللبناني

مطبعة ثابت ، بيروت ١٩٣٢

مؤلف الكتاب معروف بمواعظه واتعابه في الارساليات ، وهو جدير ان يحدثنا عن مواد الرياضة ويهدي اليها الكهنة . بسط المواضيع الاساسية : غاية الانسان ، الخلاص ، الصلاة ، التوبة ، الايمان ، القربان المقدس ، محبة الله ، والقريب ، الخطيئة وشرورها ، وعقاباتها ، العبادة لسيدتنا مريم العذراء ، الخ الخ . واكثر من سرد آيات الكتاب المقدس فاحسن . اما تفسيرها المطول فلم يكترث له واكتفى بعرض اقواله بالاسلوب الاقرب الى نفوس المؤمنين ، وان لكهنة الرعايا من مطالعة كتابه خيراً وافادة. ف . ت .

* روزنامة سيدة التلة الكنسية لسنة ١٩٣٦ * هي السنة الثانية والعشرون لهذه الروزنامة المفيدة التي يصدرها حضرة الاباتي افرام حنين الديراني الحلبي اللبناني في دير القمر . وهي تطلب منه ومن مخزن المواجات خليل حنين واولاده في سوق الجميل ، بيروت .

اهم حوادث الشرق في شهر

١٥ ت ١ — ١٥ ت ٢ ١٩٣٣

لبنان وسوريا — رسم غبطة بطريرك الارمن الكاثوليك ، في كنيسة كلية القديس يوسف ، الورتبيت غريغوريوس هنديه رئيس اساقفة على ابرشية حلب ، والاب لويس بطانيان رئيس اساقفة على ابرشية ماردين.

* اتى غبطة البطريرك الماروني بيروت للسلام على فخامة العميد السامي الجديد . وردّ العميد الزيارة في بكركي.

* اهدي الى غبطة بطريرك السريان الكاثوليك وسام الاستحقاق اللبناني

* اقيم في دمشق مظاهرة بسبب حوادث فلسطين فقمعتها قوة الامن العام.

* انتهت الامتحانات في مكتب الحقوق الفرنسي في بيروت فكان عدد الفائزين بشهادة الليسانس ٣٠ بينهم آنسة واحدة.

فلسطين — دُشن مرفأ حيفا الجديد (٣١ ت ١) بحضور المندوب السامي البريطاني وبعض الاعيان.

* اقيمت مظاهرات في بعض المدن احتجاجاً على دخول اليهود بكثرة ، نقمعتها السلطة ، وقد سقط فيها عشرات القتلى ومئات الجرحى.

مصر — اعيدت المواصلات التجارية بين مصر وطرابلس الغرب.

* عزمت الحكومة على تحويل تكايا المولويين الى مدارس صناعية.

* توفي في باريس عدلي باشا يكن من رؤساء الوزارة السابقين.

* توفي داود بك بركات رئيس تحرير الاهرام.

العراق — جُدّد تمديد الاتفاق الموقت بين العراق وايران لمدة ستة اشهر.

جزيرة العرب — ظهرت بوادر الحرب بين اليمن والمملكة السعودية وقد استولت قوّات الامام يحيى على بدر عاصمة نجران.

المطبعة الكاثوليكية المدير المسؤول : يوسف ماهر

فهارس المشرق

للسنة الحادية والثلاثين
١٩٣٣

فهرس اوّل

لموادّ اعداد السنة الحادية والثلاثين من مجلة المشرق

(الرقم الاسود يدلّ على اعداد المجلة ، والرفيع على الصفحات)

العدد ٢ (شباط) القضاء في لبنان على عهد الحكم الاقطاعي، بقلم وجيه خوري (٢: ٨١–٩١؛ ٤: ٢٦٣–٢٧٠؛ ٥: ٢٥٧–٢٦٦) = من مظاهر البسالة النسوية، بقلم الخوري بطرس روفائيل (١٠٢–١٠٨) = يسوع الانجيل ويسوع جبران، بقلم امين خالد (٢: ١٠٨–١١٦؛ ٣: ١٩٧–٢٠٢؛ ٤: ٢٧٨–٢٨٣) = صوفية ابن العربي، بقلم الاب فليكس تريبرا (١٢٩–١٣٣) = شذرات: اكتشاف اثري قرب بعلبك قبل ١٣٢ سنة. المسيح ملك الامم والشعوب. كيف امسى الموت اعمى! (١٤٦–١٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (١٤٩–١٦٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (١٦٠)

العدد ٣ (اذار) المجازفة بالارقام في التاريخ، بقلم حبيب زيات (١٦١–١٦٨) = النسك والنساك في لبنان (مصوّرة)، بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٣: ١٦٨–١٧٧؛ ٦: ٤٤٦–٤٥٣) = التذكارات القرنية اللبنانية في السنة ١٩٣٣، بقلم الشيخ سليم الدحداح (٣: ١٨٧–١٩٧؛ ٦: ٤٧٠؛ ١١: ٨٧٠) = جولة في المجلات: شيء عن الربع الخالي – لاتينيون وسكسونيون (٢٢٨–٢٣٤) = مطبوعات شرقية جديدة (٢٣٤–٢٤٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٢٤٠)

العدد ٤ (نيسان) البطريركية الانطاكية بين الاتحاد والانفصال، بقلم الاب اثناسيوس حاج قب (٤: ٢٤١–٢٤٨؛ ٥: ٣٥١–٣٥٧) = لارتين في لبنان وسورية (مصوّرة)، بقلم اغناطيوس سركيس قب (٤: ٢٧٠–٢٧٨؛ ٥: ٣٧٢–٣٨١؛ ٦: ٤٣٩–٤٤٦؛ ٧: ٥٢٦–٥٢٤؛ ٨ و٩: ٦٠٧–٦١٣) = الامير حيدر احمد الشهابي وتاريخه، بقلم الدكتور اسد رستم وفؤاد افرام البستاني (٤: ٢٨٢–٢٨٩؛ ٥: ٣٦٦–٣٧٣) = شذرات: سكة حديد بين مكة وجدّة (٢٠٦-٨ ٢) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٠٨–٣٢٠) = اهم احوات الشرق في شهر (٣٢٠)

العدد ٥ (ايار) شهداء نجران: رسالة شمعون اسقف «بيت ارشم»، عرّبها عن الاصل السرياني القسّ يوحنا عزّو (٥: ٣٢١–٣٢٩؛ ٦: ٤٠٩–٤١٨) = الحزينة (قصيدة) بقلم كرم البستاني (٤٢٩) = السُلافة او آخر ما كتبه جبران خليل جبران، بقلم امين خالد (٣٣٠–٣٣٧) = شذرات: صيحة على «التفرنج» في المحادثات في بيروت قبل ستين سنة. الحدّ الاقصى لسرعة السيارات (٣٨٥–٣٨٧) = مطبوعات شرقية جديدة (٣٨٧–٤٠٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٤٠٠)

العدد ٦ (حزيران) الشيخ احمد الغرّ والقضاء في بيروت قبل مائة عام (مصوّرة) بقلم الدكتور اسد رستم (٤٠١–٤٠٩) = الاشمة المجهولة (مصوّرة)، بقلم انطوان باز (٦: ٤٣٣–٤٣٩؛ ٧: ٤٩٧–٥٠٤) = جولة في المجلات: اليوبيل الذهبي الكهنوتي لغبطة بطريرك الروم الكاثوليك – الشهر المريمي في الكنيسة البيزنطية – ناحية جديرة بالنقد من نواحي

العدد ١١ (تشرين الثاني) ابن ابتدأ الاب جبرائيل دنبو (١٧٧٤-١٨٣٢) مؤسس الرهبانية الانطونية الكلدانية من مجمع مار هرمزد ؟ ، بقلم القس يوسف نادر الانطوني (٨٠١-٨٠٩) = الزراعة والصناعة بين الرهبان ، بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني (٨٦١-٨٧٠) = شذرات : التذكارات القرنية (الشيخ سليم الدحداح) . ايضاح . اذاعة السور القرآنية بالراديو (٨٧٠-٨٧٣) = مطبوعات شرقية جديدة (٨٧٣-٨٨٠) = اهم حوادث الشرق في شهر (٨٨٠)

العدد ١٢ (كانون الاول) الدرّة النفيسة في صلوات الكنيسة البيزنطية : تاريخ ترنيمتين من ترانيم الطقس البيزنطي ، بقلم الشماس انطون هبي (٨٨١-٨٨٨) = المبتذلات ! ، بقلم يوسف غصوب (٩٠٧-٩١١) = اثر قديم للبطريرك مكاريوس ابن الزعيم ، نشره الياس حسون الملوف (٩١١-٩٢١) = حول تحديد الشمر ، بقلم القس اسطفان فرحات (٩٢٩-٩٣٧) = اعاجيب النقد الحديث ، بقلم ا. ح. (٩٣٧-٩٤١) = جولة في المجلات : فيصل بين فرنسة وانكلترة (٩٤١-٩٤٤) = شذرات : الصناعة اللبنانية في سنة ١٩٣٣ . تمثال قلب يسوع في غزير (٩٤٥-٩٤٩) = مطبوعات شرقية جديدة (٩٤٩-٩٦٤) = اهم حوادث الشرق في شهر (٩٦٤) = فهارس المشرق

تنبيه

وقع شيء من السهو والخطأ في مقالة «القضاء في لبنان بزمن الامراء الشهابيين» رأينا ان نتداركه في ما يلي:

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٨١٩	١٧	واعتل خط	واعتلّ خط
٨٣٠	٣	المجالة المزلة	المجالة الدالّة
٨٩١	٨و٦	سقط من بين هذين السطرين عبارة طويلة من بين	

قوله «احمد هذا» وقوله «وكنيته ابو صالح» وهي:

احمد هذا-(وهو ابن محمود بن يوسف بن شرف الدين بن ابي جنبلاط حسين بن محمود بن شرف الدين بن تقي الدين بن زين الدين عبد الغفار المتوفى سنة ٩٦٥ هـ (١٥٥٧ م) والمشهور بعلمه ومؤلفاته الدينية.من سلالة الشيخ معتب؟ابن ابي المكارم وكان بعض اسلافه قضاة للامراء التنوخيين – ولد احمد سنة ١٢١٣ هـ (١٧٩٨ م) وترك بعد وفاته ولدين هما حسين وسلمان وكنيته ابو صالح) '

وبعد هذا يتصل الكلام بقوله : « درس احمد » الخ .

– وقد وقع سهو كذلك في ترقيم بعض الصفحات فانتقل الرقم فورًا من٩١٢ الى ٩١٧، واذا فلا وجود للصفحات (٩١٣-٩١٦) فاقتضى التنبيه .

فهرس ثانٍ

يحتوي اسماء كتبة المشرق ومقالاتهم

فهرس ثالث

للمطبوعات التي ورد وصفها في السنة الحادية والثلاثين للمشرق

١ — المطبوعات العربية والسريانية الخ

٢ — مطبوعات اوربية

فهرس رابع

للمجلات التي ورد ذكرها في باب «جولة في المجلات»

فهرس خامس

لجميع موادّ السنة الحادية والثلاثين من المشرق

على طريقة حروف المعجم

ب